الأخلاق في الماركسيـــة

نظـــرة نقدية

دكتور

سنـــاء عبد الحميد خضـــر

مقدمة:

- ربما يكون من دواعي البحث في الماركسية وأخلاقها، تلك المفاهيم المغلوطة عنها، والتي وجب علينا تصحيحها من منظور الفهم الحقيقي للرؤية الماركسية للعالم. وهي رؤية إنسانية – دينية – سياسية – أخلاقية – اقتصادية.
- لقد قدمت الماركسية، بالفعل، رؤية شمولية للعالم بحيث يمكن لنا أن نسميها فلسفة كونية Cosmic philosophy إن صح هذا التعبير.. ولِمَ لا وقد قدمت الماركسية بالفعل رؤية شمولية للعالم فتعاطت الوجود من كافة نواحيه؟! ونعتقد أن القليل من الفلسفات والمذاهب التي استطاعت أن تضم العالم كله إلى صدرها وتحتويه برؤية ثاقبة مثلما فعلت الرؤية الماركسية.
- فقد تناولت الماركسية الفكر وعلاقته بالواقع، وأيضًا الحلم بعالم أفضل وأكرم للإنسانية، عالم يلامس الواقع في ديناميكية، ويلامس الذات الإنسانية في ثرائها الروحي والمعرفي، ومغزاها الدرامي بين الأنا البروليتارية والآخر البرجوازي.
- إن الماركسية تعد – بحق – هي الحدث الأكثر تأثيرًا على الشعوب وهي الفلسفة. التي استطاعت أن تقول (ها أنا ذا) كنت ومازالت في قلب المشهد لأنني تعاملت مع الكيان والجوهر وصرخت في وجه الزيف ودغدغة المشاعر للنيل من الإنسان أو لمكاسب سياسية أو أيديولوجية معنية.

وهذا ما سوف تكشف عنه دراستنا هذه.

- إذن فليس غريبًا أن تقابل الماركسية بالنقد الشديد أو حتى أن يتلامس معها الحس الإنساني الراقي ويتوافق مع رؤيتها وكأنه يتنفس ذاته من خلالها.

وليس هذا إلا دليلاً على حيويتها وديمومتها وبقائها وإن لم يكن على أرض الواقع الفعلي، فهو يبقى - كحلم -من أحلام الوجود الإنساني.

- فقد عانى الإنسان كثيرًا من تعنت وظلم وحب السيطرة من قبل بعض القوى السياسية والانحيازات والتكتلات الاقتصادية، مما كان له مردوده على البنية الاجتماعية والنظرية الأخلاقية.
- ولذلك سوف تكون المعالجة حول الأخلاق الماركسية من عدة زوايا، نراها هي الأبعاد الحقيقية للرؤية الماركسية الأخلاقية وهي:

أولاً: ماركس لوحة حياة ومفهوم إنساني بصياغة ماركسية.

ثانيًا: الأخلاق الماركسية (بناء أخلاقي بمقولات ماركسية).

ثالثًا: قيم الأخلاق في المجتمع الرأسمالي الاشتراكي.

رابعًا: مستويات الماركسية بين الحرية والنسبية.

خامسًا: الماركسية والمثالية الأخلاقية بين الاستحالة والإمكانية.

سادسًا: الماركسية في ميزان النقد.

- أما المنهج المناسب لتناول هذه الموضوعات، ذات الخصوصية الماركسية، فهو المنهج التحليل النقدي، فهو الذي يصمد أمام فلسفة بحجم الفلسفة الماركسية، التي لا تكتفي –فقط- بالنظرة السطحية أو الظاهراتية (الفينومينولوجية) بل تصل إلى عمق الرؤية لكي تستنبط قيمًا معرفية جديدة وأصيلة ومضمونية! إذن فالتحليل والتفكيك قائمان ماركسيًا.
- وأيضًا النقد الذي يظهرنا على ما في الماركسية من عيوب يجب إدراكها، والعمل على تذويبها، ومواطن قوة يجب علينا أن نستلهمها اليوم في واقعنا المعاصر بضغطة شديدة جدًا تجعلنا نحصد نتائج أكثر فاعلية وديناميكية في مجتمعنا الذي أصبح يئن ويتوجع كثيرًا من رذائل وقيم إنسانية وأخلاقية زائفة ومتلونة بامتياز.
- إذن فعلينا -الآن -بإنقاذ المضمون الأخلاقي من عبث العابثين وبرجماتية البرجماتيين من خلال نظرة أخلاقية ماركسية نستلهم أفضل ما فيها .. وكأن الماركسية تكشف لنا، وبعمق، عن أمراضنا الاجتماعية وصورتنا الانعزالية ..

١- ماركس – لوحة حياة

ومفهوم إنساني بصياغة ماركسية

يقول دومييه "على الإنسان أن يكون ابن عصره" ونحن نرى أن هذه المقولة تنطبق على كارل ماركس إلى حد بعيد. فهو ابن العصر والتاريخ والأخلاق والتناقضات الفجة، ابن شرعي لأجواء اقتصادية متهالكة طحنت الإنسان وجعلته مجرد آلة، وشيّئته فأصبح لا يعني شيئًا، مسخته فأصبح بلا ملامح .. وهذا ما سوف نعالجه من زوايا متعددة.

ماركس[١]: فيلسوف اقتصادي ألماني ولد في تريير المدينة الرنيانية القديمة في ١٨١٨، ومات في لندن ١٨٨٣ وكان أسلافه من الحاخامين. صار ماركس المولود يهوديًا مسيحيًا في عامه السابع وفي السابعة عشرة وقع في الغرام فقد تولع بصديقة لأخته الكبرى (جيني دي وستفالن)، ابنة رجل ليبرالي من الأعيان شقراء جميلة تكبر عاشقها بأربع سنوات، ولكنه كان يبدو، بضخامة جثته، أكبر سنًا منها ثم تركها ليدرس الحقوق ١٨٣٥ وعاش حياة مرحة وعاقر مع أصدقائه الخمر، فكان كل شيء يحمل على الاعتقاد بأنه لم يكن مرموقًا.

ويقال عن ماركس[٢] أنه كان رجل (متوحِّد) منعزل عن البشر وسلطوي ومن يعرف ماركس يجد صعوبة في التوفيق بينها وبين صورة ماركس الزوج – الأب – الصديق – ثم كان زواجه من (جيني فوت) مليئًا بالحب والسعادة المتبادلة برغم الاختلافات في الخلفية الاجتماعية ورغم الفقر المادي والمرض.

فقد وصفت ابنته الصغرى (إليانور) [٣] العلاقة بين والديها (لقد تغلب مور (لقب ماركس)، مرة ثانية، على مرضه، لن أنسى ما حييت، ذلك الصباح الذي شعر أنه قوي بما يكفي للذهاب إلى غرفة أمي عندما أصبحا مع بعضهما كأنما استعادا شبابهما هي الفتاة الشابة، وهو الشاب العاشق اللذان مازالا على عتبة الحياة.

فقد كان ماركس إنسانًا مستقلاً غير معزب ومنتجًا بنفس الشكل الذي صورته كتاباته لإنسان المجتمع الجديد فلم يكن متعصبًا ولا انتهازيًا، بل إن سيرته تجسيدًا لازدهار الإنسانية الغربية، فكان يملك القدرة على النفاذ لجوهر الحقيقة ذاته، لا يأخذ بالمظاهر الخادعة، فهو ذو كمال وشجاعة لا تنطفئ مع اهتمام عميق بالإنسان.

ومنذ البداية كان ماركس[٤] يرفض -بشدة الذين- أطلقوا على أنفسهم لقب الماركسية (خطابه إلى إنجلز[*] في ٣٠-٩-١٨٨٢) في الحركة الاشتراكية. فهناك الحرج من أن تنسب محاولة تأسيس سلاح نظري للطبقة العاملة يقوم على المنهج العلمي في مواجهة المثالية والتجريبية إلى شخص بعينه[*] والرجوع إلى كتابات ماركس، نجدها تنتقد النزعة الفردية، وتكشف الصراع الطبقي لا الفردي داخل العلاقات الاجتماعية.

ولذلك اعتاد ماركس، في نهاية السبعينات من القرن (١٩)[٥]، أن ينفي عن نفسه صفة الماركسية في مواجهة تيار ينسب نفسه إلى الماركسية في فرنسا ويحول القالب التصور المادي للتاريخ، أي الماركسية، إلى قالب تبسيطي يقوم على الوقائع الاقتصادية .. كما يرفض أن يكون ماركسيًا على غرار الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني، وهي ماركسية تدّعي أنها تقوم على مذهب علمي خالص، على حين أن علميتها كاذبة ليست إلا تكيفًا مع العلاقات الواقعية الرأسمالية.

ولذلك يقال لا ماركس ولا انجلز[٦] ارتضيا بأن يعدّا من فئة الفلاسفة، بل تركا هذا اللقب للذين فضلوا الاتصال بالروح، وهاموا بالغيب ووعظوا بالفرضيات والوهميات، وأطلقا تعاليمهما من العلم، إنهما عالمان كما كان داروين، قاهر، الطبيعة عالمًا – كما جاء على لسان جورج حنا.

ويكتب (بول لا فارغ)[٧] فيقول: كان بالإمكان أن تسأل ماركس في أي وقت تشاء وعن أي شيء، وكنت ستحصل – حتمًا- على الجواب الشافي إن دماغه كان أشبه بالباخرة الحربية الرّاسية في المرفأ والمستعدة للانطلاق، لقد كان مستعدًا –دائمًا-للإبحار في أي اتجاه من اتجاهات الفكر.

كما يقول "إن ضمير ماركس الأدبي لم يكن يقل صرامة عن ضميره العلمي، فهو لم يكن ينشر أي شيء مالم يعالجه بكل دقة ويغيره عدة مرات ليتطابق مع الشكل، ولم يكن يطيق فكره أن يتقدم إلى الجمهور بشيء لم يستنفذ العمل فيه حتى النهاية.

والحقيقة كما يرى د. مصطفى النشار[٨]. أن مذهب ماركس الفلسفي بالغ من الشهرة الحد الكبير فقد نجحت الماركسية في حل مشكلات العصر فيقول ماركس عن نفسه "ليس بين ابناء العصر من لقى مقتًا وافتراء عليه مثل ما لقيت"

فقد استخدم ماركس المنهج العلمي[٩] Scientific Method والتضمين الوجودي Ontological Presupposition وخاصة في استخدامه للقيمة ويعتبر ماركس علميًا ممارسًا للتطبيق، فهو يتحدث عن الممارسة في العلم وتأثيرات ذلك على العلم نفسه ومنها (نظرية العمل في القيمة) فقد نقد نظريات جون لوك – آدم سميث – ديفيد ريكاردو، واهتم بالظاهرة الاجتماعية والتطور الإنسان والقوى المنتجة productive Forces.

كتابات ماركسية

كتابات ماركس عديدة ومتشعبة في مجالات مختلفة وسوف نذكر هنا بعضمن أهم كتاباته.

إن ماركس في أطروحته[١٠] (الفرق بين فلسفة الطبيعة عند ديمقريطس وفلسفة الطبيعة عند أبيقور)، كما في عدة مقالات، أعاد طبعها (مهرنغ)، يبدو - أمامنا -مثاليًا مخلصًا من المدرسة الهيجلية، مثله مثل أنجلز الذي اشترك في الحوليات نصيرًا عنيدًا للإنسانية الفيورباخية.

وهكذا كان كتاب (العائلة المقدسة) أو (نقد الاقتصاد النقدي) يبين لنا كلا من المؤلفين ماركس، وأنجلز وقد قاما بخطوات عديدة في تطوير فلسفة فيورباخ.

وقد ألقا ماركس مع انجلز منفيستو الحزب الشيوعي[١١] Manifesto of the Communist party وهو يتناول ثلاث نقاط أساسية:

١- Bourgeois and proletarians.
٢- Proletarians and communists.
٣- Socialist and Communist literature.

أي كل ما يتعلق بالبرجوازية والبروليتاريا والشيوعية والأدب.

ويعتبر البيان الشيوعي[١٢] هو تاريخ البشرية كله، وهو الصراع بين الطبقات، وأنه في كل عصر ومجتمع كان من الضروري أن توزع الملكيات بين الذين أنتجوها توزيعًا متساويًا، ولكن هذا مالم يحدث أصلاً فقد كانت البشرية – دائمًا- منقسمة إلى طبقات بعضها تحكم وتملك، والأخرى محكومة ولا تملك.

كذلك لماركس كتاب هام هو يؤسس الفلسفة[١٣] "لقد كان برودون سيء الحظ .. لقد قيل عنه في فرنسا أنه كان اقتصاديًا فاشلاً، لأنه كان يعد من أقدر الاقتصاديين الفرنسيين".

وقد عالج ماركس في هذا الكتاب تناقض قيمة السلعة عند برودون – الاقتصاد والأخلاق عند برودون – برودون وصراع الطبقات وغيرها.

كما عرض ماركس في هذا الكتاب[١٤] المذهب الثوري للبروليتاريا وقد صدر هذا الكتاب باللغة الفرنسية يوليو ١٨٤٧، وذلك ردًا على [فلسفة البؤس]

للسيد برودون، وينتقد ماركس برودون ومفاهيمه المثالية واستخدامه لديالكتيك هيجل(*) بشكل مشوِّه.

أما الكتاب الذي كان، ولازال له قيمة عالية في البناء الاقتصادي، فهو كتاب رأس المال لماركس.

وعنوان الكتاب هو[١٥] (رأس المال ونقد في الاقتصاد السياسي) وقد وضع على شكل بحث في علم الاجتماع، ويقول ماركس في المقدمة (إن موضوع البحث في هذا المؤلف هو الطريقة الرأسمالية في الإنتاج، وعلاقات الإنتاج والتبادل المناسب لهذه الطريقة. والمجلد الثاني يعالج عملية انتشار رأس المال والمجلد الأخير وهو الثالث فيختص بتاريخ النظرية الرأسمالية.

إذن الموضوع العام للمؤلف، كله، لم يكن إلا الرأسمالية.

ولذلك يقول غوربونون (في الثقافة)[١٦] أشار لفين إلى أن (مسألة مصير الرأسمالية في روسيا) أصبح بعد ظهور (رأسمال) كارل ماركس (المسألة الرئيسية للاشتراكية الروسي وحول هذه المسألة كان يتوقف حل أهم الموضوعات المتعلقة ببرامجهم وكان هذا يشمل مجال الثقافة وتحديد طابع تطورها في روسيا، ودورها في العمليات الاقتصادية الاجتماعية.

والسؤال ما هو مفهوم رأس المال وما هي الرأسمالية؟

رأس المال[١٧] ← مصطلح اقتصادي اقترن ظهوره واستخدامه بالنظام الليبرالي (الرأسمالي) الذي أعطى المبرر لظهوره إلى المبادئ التي قام عليها وأهمها الحرية الاقتصادية من خلال الملكية الفردية لوسائل الإنتاج وحرية المنافسة وقانون العرض والطلب.

الرأسمالية[١٨] ← هي التشكيل الاقتصادي الذي حل محل الإيقاع وتقوم الرأسمالية على الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج واستغلال المأجور واستخلاص فائض القيمة هو القانون الأساسي للإنتاج الرأسمالي.

والحقيقة أن ما تم اكتشافه في رأس المال كان موجودًا بصورة جنينية في مخطوطة ١٨٤٤، وفي البيان الشيوعي ١٨٤٨ .. القرن الوحيد مزيد من النضج والتدقيق بتوالي السنين – كما يرى البعض[١٩].

وعلى وجه العموم يمكن القول إن كتابات نيتشه تخضع للبعد الأخلاقي فيقول كافكا[٢٠]: إن المؤلفات الأولى لماركس وخاصة ماركس الشاب، استخدم معياره في الحرب والتناغم ليقيم مبادئ خلقية موضوعية تكون حقيقية بشكل أبدي،

وهكذا في (ملاحظات عن آخر تعليمات الدولة البروسية للرقباء) مقال نشره ماركس في صحيفة (انيكدوتا) ١٨٤٢ ويلاحظ ماركس أن التعليمات قد أحلت كلمات (الذوق – اللياقة – اللباقة الخارجية) محل كلمات (الأخلاقيات – اللباقات الرقيقة) في القانون الأصلي.

فقد كتب ماركس[٢١] (نحن نرى كيف أن الأخلاقيات كأخلاقيات، كمبر للعالم والتي تطيع قوانينها تختفي وتكون لدينا محل طبيعتها الجوهرية مظهرًا خارجيًا، زخرفة يفرضها البوليس، حلية إقناعية".

ومن خلال كتابات ماركس كلها يمكننا أن تصنف ماركس بالثوري.

يقول سارتر[٢٢]: إن ما يطالب به الثوري[*] هو أن يكون إنسانًا غير مبرر، لكنه، مع ذلك، مضطهد في مجتمعه، وهو قادر، مع ذلك، على تجاوز هذا المجتمع بما يبذله من جهد لتغييره، والمثالية تضلله لأنها تربطه بحقوق وقيم موجودة، وتعميه عن قدرته التي تستطيع أن تخلق له قيمة، وهو وطرائقه في الحياة.

كما يقول لفين[٢٣]: إن الانتهازيين لا يعترفون إلا بالأشكال السلمية سبيلاً إلى تحقيق الإصلاحات الجزئية، في حين أن اليساريين ينفونها –حتمًا- ويدعون إلى الأعمال الثورية الفورية.

كما أدان لفين – بشدة – نزعة المقامرة لدى أنصار الحملة الثورية فقد أخذ يذكر، مرارًا وتكرارًا، توكيد ماركس وأنجلز مؤسس الشيوعية العلمية، إلى عدم محاولة استباق الأحداث وعدم الدعوة إلى الإطاحة الفورية بالنظم القائمة في المكان والزمان اللذين لم تتضح فيهما الظروف الموضوعية.

والحقيقة أن الممارسة الثورية عند ماركس[٢٤] يأخذنا إلى المفهوم الأكثر جدلاً عند ماركس وهو (القوة) إنها ليست فكرة ماركسية، بل إنها فكرة المجتمع البرجوازي خلال الأعوام الثلاثمائة الأخيرة. إن الديمقراطية الغربية هي ابنة الثورات الإنجليزية – الأمريكية – الفرنسية العظمى.

وهنا يجب مناقشة أفكار ماركس عن الثورة والشيوعية[٢٥] وذلك بتوضيح الأفكار السياسية الأخرى لماركس، وخاصة التي تعلقت بالطبقات والدولة، والذي يمكن لنا فهمها داخل سياق within the context التزامه ومسئوليته تجاه الثورة والشيوعية وكذلك داخل أبعاد تفكيره السياسي الخاص.

وهنا نجد ماركس يناقش إمكانيةالثورة الاجتماعية Social revolution عندما تصبح قوى الإنتاج forces of production قصيدة بعلاقات الإنتاج relations of production كما لا يمكن لنا إغفال ما كتبه ماركس عن الحكم (التسلط) البريطاني في الهند، والذي نشر في نيويورك ٢٥ يناير ١٨٥٣ ولذلك فإن الثورة الأساسية، والتي تمثل الراس، كانت في آسيا.

وفي نظر ماركس[٢٦] لابد أن تكون الثورة – في البداية – هي التي تشمل الفكر وتسلسل الحركات الأصلي فيما يتعلق بالمجتمع والحضارة وتعتبر المعاناة الإنسانية human suffering جزءًا هامًا من ذلك وخاصة فيما يتعلق بالمرأة والطفل لكي توضع العناصر الأساسية للأمل واحترام الذات فكل هذا يوضع ضمن العناية المقدسة divine providence.

ولذلك يجب أن ننظر فيما سوف يعود علينا من الظلم injustice أو الاستغلال exploitation أو العنف Violence حتى نسير –دائمًا- في اتجاه المساواة equality والعدالة Justic نحو الكمال والتحقق الإنساني human fulfillment وخاصة أننا نعيش في عالم يفتقد الأمن الاقتصادي economic insecurity.

وفي النهاية، يمكن القول إن هذه هي فلسفة العظماء[٢٧] وهي التي تتسم بـ:

١- أنهم في الزمان فوق الزمان، لكل منهم، حتى أعظمهم وضع راهن حقًا في مكان، وهو يرتدي ثيابًا تاريخية.
٢- كل مفكر صحيح أصلي شأنه شأن كل إنسان طبيعي حقيقي، ولكن المفكر العظيم أصيل بأصله، وهذا يعني انه يزود العالم بقدرة تواصل لم تكن من قبل قائمة، والأصالة تكمن في الأثر في التحقق المبدع الذي لا يمكن أن يتكرر فالأصالة وثنية في التاريخ، والأصالة هي أصالة الفكر.

كلمات عن ماركس[٢٨]

١- انجلز: كما أن داروين اكتشف قانون تطور الطبيعة العضوية، كذلك اكتشف ماركس قانون تطور التاريخ الإنساني.
٢- باكونين: يشكو ماركس من العيب الذي يشكو منه جميع العلماء المحترفين، وقد بلغ به الأمر إلى حد اعتبار نفسه بمنتهى الجدية، أبا الاشتراكية.
٣- لينين: الماركسية هي الوريث الطبيعي لخير ما أبدعته البشرية في القرن التاسع عشر في الفلسفة الألمانية.
٤- إرنست بلوخ: لم يكن ماركس متعصبًا ولا انتهازيًا، بل هو يمثل خير ما في المأثور الغربي: الإيمان بالعقل، وبتقدم الإنسان.
٥- برودون: ماركس هو الدودة الوحيدة للاشتراكية.

الفلسفة الماركسية وعناصرها

(الماركسية لغة الحياة والديمومة)

من المعروف أن لماركس وأنجلز مذهب اقتصادي وسياسي أيديولوجيًا[٢٩] عرف بالماركسية وان صفة (ماركس) والاسم (ماركسية) لم يصدرا عن ماركس نفسه وأصحابه وإنما عن خصومة أنصار باكونين حين دب النِّزاع بين الفريقين مما أدى إلى طرد أنصار باكونين في مؤتمر (الدولية الأولى) الذي انعقد في لاهاي هولندا ١٨٧٢، وقد بدأ الخلاف بسخرية باكونين من ماركس والماركسية، فأخذ يهاجم دكتاتورية الشرذمة – الماركسية المتسلطة على أنقاض الدولية.. ووصف مؤتمر لاهاي بأنه (تزييف ماركس) ولذلك كان لفظ ماركس والماركسيين منطويًا على الذم عند الباكونيين.

والماركسية هي نظرة عالمية شاملة[٣٠]، إنها إذا ما عيرنا عنها باختصاص المادية الحديثة، التي تمثل أعلى مرحلة من مراحل تطور تلك النظرة إلى الحالة التي أرسيت أسسها في اليونان القديمة قبل ديمقريطس.

يقول لينين أن ماركس، في كتابه المميز (تعاليم مارك)، أنه العبقري الذي أكمل الأيديولوجيات الثلاثة الرئيسية، التي كانت سائدة في القرن التاسع عشر، وهي في البلدان الثلاثة الأكثر تقدمًا في العالم، وهي الفلسفة الألمانية الكلاسيكية، والاقتصاد السياسي الإنجليزي الكلاسيكي، والاشتراكية الفرنسية[٣١].

ولقد كان دور الفلسفة داخل الماركسية كما يظل موضوع مجادلات ويدل على ذلك ردود الفعل التي أثارها في العشرينات عمل دورج لوكاش (التاريخ والوعي الطبقي) وخصوصًا عمل ك. تورسين (الماركسية والفلسفة) سواء من جانب الاشتراكية الديمقراطية (كاوتسكي) أو من جانب اللينيتية (ديبورين).

ومن المعروف أنه في نقد فيورباخ وضع ماركس الأسس الفلسفية للماركسية الممارسة – فاعلية الإنسان الحسية – معيار حقيقة الفكر – جملة العلاقات الاجتماعية تفسير العالم وتحويله[٣٢].

وتعني نظرية Thérie في الماركسية: أنها منظومة من الأفكار المرشدة في فرع من فروع العلم والمعرفة وتعميم التجربة الإنسانية، مجموع المعارف عن الطبيعة والمجتمع المتراكمة خلال التاريخ. في الماركسية نجد أن الممارسة هي محك النظرية ومعيار صوابها[٣٣].

إذن الماركسية ترفض التأمل Spéculation ولا تعترف (إلا بالنظرية (لغويًا). وقاموس لاروس الصغير يعلمنا أن كلمة Théoirie نظرية تعارض pratique (ممارسة) وتعارضه أيضًا speculation ليس له، عند هيجلْ المدلول السيء له في الماركسية المادية[٣٤].

وبعض الماركسية وصفوا الماركسية بأنها عقلانية حديثة، عقلانية مادية – عقلانية مادية جدلية. والعقلانية كموقف فلسفي، كتأكيد على العقل يمكن أن تكون مادية، مثالية، ثنائية[٣٥].

وقد كتب العديد من الماركسيين الغربيين من أمثال كارل كورسن – جورج لوكاسين – ماكس هوكهيمر – هربرت ماركيوز – وليم ريتش الكثير من المجادلات حول علمية الماركسية من الزاوية العقلية وخاصة الحرية الإنسانية كما ناقشوا الاشتراكية العلمية Scientific Socialism لماركس وانجلز والتي تقف في حالة تباين مع العلوم الخالصة لمجتمع البرجوازيين ولقد ناقش لوكاش مشكلة اعتبار الماركسية علمًا[٣٦].

فقد كان ماركس ثوريًا ولهذا كان يحتاج إلى فلسفة يمكن أن تتمشى معها نظريات الثورية، وكان لزامًا أن تستوفي هذه الفلسفة شروطًا هي:

١- أن تكون علمية ومادية لأن العلم يعالج المادة ولا يعرف لغة.
٢- لا يمكن أن تكون مجرد تفسير ميكانيكي للعالم وهو التفسير الذي اتهم في كتابه (الأسرة المقدسة) ١٨٤٥ الماديين الفرنسيين بأنهم قدموه، وإنما لابد أن تقدم هذه الفلسفة رُشدًا للعمل الثوري وإلا بقيت عقيمة[٣٧].

إن محتوى الفلسفة الماركسية يأتي في مخطوطات ١٨٤٤ لإثبات أن الماركسية، كفلسفة، قد ولدت هناك. وأن المنهج المعرفي الذي طبق على الاقتصاد السياسي لدراسة بنية اقتصادية – اجتماعية محددة يستند إلى المحتوى الفلسفي المعروض في مخطوطات ١٨٤٤ (المخطوطات الفلسفية والاقتصادية) تلك العمارة المعرفية لها أساس فلسفي في كتابات ماركس[٣٨].

إذن ما هو السؤال الأساسي في الفلسفة الماركسية؟[٣٩]

What is the fundamental question of philosophy?

يقول إفاناسيف: إذا نظرنا إلى العالم سنجد كل الظواهر إما مادية أو مثالية روحية فالظواهر المادية تحتوي كل ما يوجد موضوعيًا أي خارج وعي الإنسان (الأفكار – الأحاسيس – العواطف) يرتبط بمجال المثالي إذن فالسؤال هو كيف يرتبط المادي بالمثالي؟

What are the Material and the Spiritual Connected?

إنها نفس العلاقة بين الفكر والوجود أي الروحي والمادي وهي مشكلة تتوقف عليها مشكلات أخرى.

إن السؤال الأساسي في الفلسفة هو العلاقة بين الوجود والوعي؟

The Fundamental question of philosophy and the relation between the being and consiciousness.

ولكن وفي نفس الوقت اختلف مفهوم الماركسية، عند البعض، فنجد – مثلاً- سارتر في أول إشارة واضحة ما قاله في محاضراته (الوجودية مذهب إنساني) التي ألقاها ١٩٤٦ والذي يعترف فيها أنه يتبنى الكثير من أوصاف الماركسية، وأن الوجودية هي موقف لاحق للماركسية، وأن وجوديته تتجاوز الماركسية أو تضيف إليها شيئًا جديدًا[٤٠].

ولذلك نجد أن الماركسية مثلت، منذ البداية، حدثًا تاريخيًا وقوة اجتماعية فالاتحاد السوفيتي ويوغوسلافيا يدعيان الانتماء –رسميًا- إلى الماركسية وبينهما تباين في الآراء أدى إلى منازعات تدهورت معها العلاقات بين البلدين ومن لم يسمع بستالين أو بما يسمون اليوم بالستالينية.

إذن الماركسية ليست فلسفة مدرسية بل هي عقيدة في حالة ذات أهمية عالية[٤١].

ولذلك نجد مؤسس النظرية الشيوعية (ماركس) قد شرح الظواهر الحتمية عندما قال: إن كل شيء في الكون يتحرك طبقًا لمبدأ الحتمية السببية، وأن كل شيء ينتهي إلى قدر محتوم وإذا أردنا أن نعرف كل شيء عن أي شيء في الكون فيجب أن تعرف مبادئه التي تحكمه بدقة[٤٢].

علاقة ماركس بمذهب هيجل

"إن الفكر الماركسي في جوهره هيجلي وذلك من حيث مصدره وطابعه فنجد روبرت تيكر R.Ctuker يؤكد على أن ماركس قد أقام الماركسية من خلال ثورته الهيجلية وربما يكمن تلخيص أهم منجزاته في أنه أوقف هيجل على قدميه[٤٣].

مصادر الفلسفة الماركسية وعناصرها

إن مصادر الماركسية الثلاثة كما يراها لينين هي[٤٤]:

١- **المادية ←** هي فلسفة الماركسية وقد دافع ماركس وانجلز عن المادية الفلسفية وهي موجودة في مؤلف انجلز (لودفيج فيورباخ) و(دحض دوهرنج) اللذين على غرار البيان الشيوعي، الكتابان المفضلان لدى كل عامل واع هما إلى جانب الفلسفة الكلاسيكية مثل مذهب هيجل الذي قاد إلى مادية فيورباخ وأهم المكتسبات هي الديالكتيك أي نظرية التطور ونسبية المعارف.

٢- بعدما لاحظ ماركس أن النظام الاقتصادي يشكل الأساس الذي يقوم عليه البناء الفوقي السياسي أعار انتباهه أكثر ما أعاره لدراسة هذا النظام الاقتصادي.

٣- عندما دك النظام الإقطاعي ورأى المجتمع الرأسمالي (الحر) النور تبين أن هذه الحرية تعني نظامًا جديدًا لاضطهاد الشغيلة ثم أخذت تنبثق المذاهب الاشتراكية انعكاسًا لهذا الاضطهاد ولكن الاشتراكية البدائية كانت اشتراكية طوبارية.

والفلسفة الماركسية[٤٥] تقوم على ثلاثة أجزاء: جدلية – مادية – مادية تاريخية.

كما يذكر كاريوهنت أن عناصر الماركسية ثلاثة هي[٤٦]:

١- فلسفة جدلية مأخوذة عن هيجل.
٢- نظام للاقتصاد السياسي (النظرية العمالية للقيمة).
٣- نظرية الدولة ونظرية الثورة.

والجزء الأول مأخوذ من الفلسفة الكلاسيكية الألمانية، والثاني عن المدرسة الكلاسيكيةللاقتصاد السياسي البريطاني، والثالث عن التقاليد الثورية الفرنسية. وقد أشار البعض إلى العلاقة بين الماركسية والفوضوية في مبادئها الأولى فهل هذا صحيح؟

في البداية ظهر مذهب يطلق عليه المذهب الفوضوي[٤٧] وتزعمه برودون ونادي بضرورة معيشة الأفراد أحرارًا بلا دولة ولا دين، ثم ظهر مذهب الإصلاح الاجتماعي كرد فعل للمذهب الفوضوي، ونادى أنصاره وعلى رأسهم (لبلاي) بضرورة التغيير الاجتماعي القائم على البحث الاجتماعي ثم عوَّلت هذه الحركات عن تحقيق أهدافها ولذلك ظهرت الآراء الراديكالية الحديثة في فكر هيجل – انجلز – ماركس.

والحقيقة أن الفوضوية اتجاه سياسي اجتماعي[٤٨] تشكل خلال فترة الأربعينات حتى الستينات من القرن الماضي وأهم مبادئها: إقامة مجتمع إنساني بلا دولة وبلا طبقات، مستغلة تمجيد الثورة والتمرد على السلطة في كل صورها التقليدية.. ولم تحقق الفوضوية نفس النجاح الذي حققته الماركسية برغم من التزامن في الظهور على المسرح السياسي. ومع ذلك، ظلت الفوضوية مؤثرة في بعض حركات التحرر الوطني في الستينات من هذا القرن وقد مارست تأثيرًا كبيرًا على بعض منظري حركة اليسار الجديد عند ماركيوز – قانون – دوبريه.

ومما لاشك فيه أن الماركسية[٤٩] تتبع ايديولوجية معينة سواء في الطبيعة أو الأخلاق أو الدولة.

فهل توجد عناصر بنائية في الماركسية؟ فهذا ما حاول الإجابة عليه د.فؤاد زكريا في (آفاق الفلسفة)[٥٠] فنجد بعض الماركسيين الجدد لم يهتموا بالعوامل الاقتصادية التي اقتصرت عليها الماركسية التقليدية (سيياج) وهو ماركسي السببية المطلقة للعامل الاقتصادي ووضعه في إطار أوسع منه والمحاولة الأهم هي التي قام بها (لوي التوسير) الذي أراد أن يعيد إلى الماركسية انضباطها العلمي ويؤكد استقلالها عند هيجل وعن الذات الفلسفي السابق له ويجعل محورها بناءً اجتماعيًا اقتصاديًا يكون الإنسان – ذاته -جزءًا منه وقد كان لوسيان سيياج Lu cein se bag من أوائل الماركسيين الذين تنبهوا إلى إمكان وجود (عناصر بنائية في فكر ماركس).

ماركس والمادية الجدلية والتاريخية

إن المادية الجدلية Dialectical Materialism هي فلسفة هيجل التي يدين لها ماركس بالكثير صعبة للغاية فهي تمقت كل مالا يستسيغُه العقل ويعتقد أن عملية التدرج الكوني – كلها -تقوم على أساس مبدأ منطقي معقول وهو أن (روح العالم) هي التشخيص. وهذا ما أدى إلى تصريحه المشهور (بأن كل شيء معقول وحقيقي) ونظام هيجل يقول بأن المطلق هو الشمول لا في الفكر فقط بل في جميع التجارب[٥١].

ويعرض ح. أوسيبون[٥٢] الفلسفة الجدلية في عدة نقاط هي:

١- الفلسفة بوصفها علمًا تتناول القوانين العامة التي تحكم الطبيعة والمجتمع والفكر الإنساني، هي -في حقيقتها- قوانين مادية جدلية وعامة dialectical materialist and universal.

٢- لقد خلق ماركس وأنجلز، بإدماجهما النشاط البشري الاجتماعي في الفلسفة نظامًا فلسفيًا واحدًا متكاملاً A single integral philosophical system.

٣- لا يمكن بالإضافة إلى هذا أن تطابق بين الفلسفة الاجتماعية وعلم الاجتماع فمجالها ليس هو مجال علم الاجتماع وإنما جدل (ديالكتيك) التطور الاجتماعي Dialectics social development.

وهكذا كان الجدل الهيجلي[٥٣] مدخلا إلى النظرية الماركسية عن المجتمع (من حيث إن علاقات الإنتاج هي التي تحدد الطبقات الأساسية في المجتمع).

ومما لاشك فيه ارتباط المادية بالواقعية Realism والواقعي Real هو التحقق من الأعيان في مقابل الوهمي والممكن والمثالي[٥٤].

كما ارتبطت الواقعية والمادية الجدلية بمفكر كبير هو فيورباخ، والذي تأثر به ماركس كثيرًا كما، تأثر فيورباخ، لودفيج أندرباس Feurbach Ludwing Andreas بهيجل[٥٥]. فقد وضع فيورباخ نظرية معرفة واقعية بدلاً من النظرية المثالية الكانطية، فالمادية الجدلية في تناقض تام مع المثالية الجدلية الهيجلية وعلاقة ذلك بمنطق الجدل[٥٦].

والسؤال الآن هل مادية ماركس وانجلز هي مادية فيورباخ؟؟

عندما يعرِّف ماركس وانجلز مادتيهما يرجعان – عادة - إلى فيورباخ باعتباره الفيلسوف الذي أعاد إلى المادية حقوقها، غير أن ذلك لا يعني أن مادية ماركس وانجلز هي عين مادية فيورباخ فكلاهما لم يقتبسا من مادية فيورباخ سوى نواتها المركزية، ثم وسعاها وجعلا منها نظرية فلسفية علمية للمادية[٥٧].

فقد أصبح الجدل عند ماركس موجهًا لا إلى المناقشات اللفظية، بل إلى عالم الطبيعة والمادة قال انجلز (إن الجدل لا يعترف بوجود شيء مطلق)

إن الجدل، عند ماركس، لا يكتفي بعرض الصور الحقيقية للواقع، ولكن يحللها بحثًا عن التناقضات الداخلية، التي تحل في الأشياء والظواهر، ويوضح كيف أن هذه التناقضات هي مصدر الحركة والتطور[٥٨].

يقول ماركس[٥٩] "إن المادية أو الحساسية يجب أن تكون أساس كل عالم ولا يكون العلم علمًا في الواقع إلا إذا انطلق من المادية تحت شكلها المزدوج كوعي محسوس وكحاجة محسوسة، إذن إلا إذا انطلق من الطبيعة".

والفلاسفة الماديون[٦٠]، من أمثال بيكون ولوك وهوبز، في القرن السابع عشر، وهم الذين جعلوا ماركس يقول إن المذهب المادي في ولاته جاء من كبار البريطانيين، عندما فقدت البرجوازية البريطانية ثوريتها، ثم جاء تطور العلم من القرن السادس عشر حتى القرن الثامن عشر الذي جاء بتطوير المادية من خلال الالة المعقدة.

والحقيقة أن للفلسفة اليونانية دورًا كبيرًا وأصيلاً في مسألة المادية وجذورها.

فقد كان لاختيار ماركس فلسفة ديمقريطس[٦١] موضوعًا لأطروحته دلالة، فديمقريطس بين الأوليين من فلاسفة الإغريق بدأت فلسفته بملامح مادية. وجاء في أقواله (إن كل تغير ليس إلا اتحاد أجزاء أو انفصال أجزاء، وما من شيء يحدث دون سبب، وليس في الوجود غير ذرات تسبح في فراغ. وكل ماعدا ذلك وهم. وقد وسع أبيقور في فلسفة ديمقريطس، بافتراض أن للذرات قدرة ذاتية على الحركة.

وقد استخدمت المادية الجدلية[٦٢] (ماركس ولينين) الطبيعة بمعنيين اثنين.

١- المعنى الواسع ← الطبيعة مقابل الروح، المادة مقابل الوعي، الكينونة مقابل الفكر، ومبدأ المادية على أساس المنطق[*] الجدلي.
٢- المعنى الضيق ← الطبيعة، كشكل أول، أولي للصيرورة الموضوعية، وهو فاعلية الإنسان المتخذ هدفًا ضد المادية غير الجدلية وغير التاريخية.

إذن الفلسفة الماركسية مادية Materialist، لأن المادة والوجود أوليان وهي ديالكتيكية Dialectical لأنها تدرس العالم المادي Material world في تطوره[٦٣].

وخلافًا للمثالية التي تعتبر العالم تجسُّدًا للفكرة المطلقة أو للعقل الكليِّ أو للوعي تسير مادية ماركس الفلسفية من المبدأ القائل إن العالم، بطبيعته، مادي وإن حوادث العالم المتعددة هي مظاهر مختلفة للمادة المتحركة.

وخلافًا للمثالية، التي تؤكد أن شعورنا – وحده -هو الموجود واقعيًا، وأن العالم المادي والكائن والطبيعة، لا توجد إلا في إدراكنا وتخيلاتنا .. تقوم (المادية الفلسفية الماركسية) على مبدأ آخر، وهو أن المادة والطبيعة والكائن، هي حقيقة موضوعية موجودة خارج الإدراك والشعور[٦٤].

- أما القوانين الأساسية للجدل المادي Basic Laws of Materialist Dialectics فهي[٦٥]:

١- قانون وحدة وصراع الأضداد The law of the unity and struggle of opposits.

٢- قانون تحول التغير الكمي إلى كيفي The law of the Transformation of quantitative of quantitative into qualitative change.

٣- قانون نفي النفي the law of the negation of negation.

وسوف نذكر، فيما بعد، الانعكاسات الأخلاقية للديالكتيك المادي عند ماركس.

ومن الأهمية بمكان أن نعرض أن تصور ماركس للمادية[٦٦] قد تعرض لعملية إساءة فهم جسيمة أكثر من أي مفهوم ماركسي آخر، فمن المعتقد – بشكل كبير – أن ماركس يؤمن بأن الدافع السيكولوجي الأعظم في الإنسان إنما هو ميله للراحة والكسب المادي يشكل الحافز الرئيسي في حياة الإنسان الفردية، وفي تطور الجنس البشري – كما يرى البعض.

وهذا يقودنا – بالتبعية-الحديث عن المادية الاقتصادية[٦٧] Economic Material التي تعتبر مفهوما أحادي الجانب للتاريخ حيث يعتبر الاقتصاد القوة الوحيدة في التطور الاجتماعي ولا تعترف بأهمية السياسة والأفكار والنظريات في العملية التاريخية ومن أنصارها برنشتاين في الغرب، والماركسيون الشرعيون والاقتصاديون في روسيا.

أما موقف ماركس من المادية الآلية[٦٨] فهو واضح والمادية الآلية .. تلك التي استطاع الماديون الإغريق أن يناقشوا فيها طبيعة الأشياء وكانت أعمالهم نوعًا من الشعر العلمي Scientific poetry ثم بالنظر إلى العبيد والحركات الاجتماعية وتطور العلم وتفكير الماديين وخاصة فيما يتعلق بالآلات وفي التطبيقات الصناعية industrial applications.

ويقول ماركس[٦٩] عن المادية الآلية والجدلية: إن الطريقة الديالكتيكية ليست فقط مختلفة عن الهيجلية، بل هي على طريقها المعاكس مباشرة.

في حين يرى البعض أن الفلسفة الماركسية معارضة للمادية الآلية[٧٠]، حيث ولدت في النصف الثاني من القرن (١٩) واقتضت ظروف مولدها أن تكون معارضة، منذ البدء، للفلسفات المادية الآلية التي سادت في القرن (١٨) وأوائل (١٩) ونعرف أن هلفيتوس ولامتري من ممثلي المادية الآلية في القرن

(١٨). وكانا يقولان بنظرية (الإنسان آلة) فَردًا التفكير إلى الجسم ووضع لامتري نظرية مادية في الأخلاق. وفي القرن (١٨) وجدنا (كابانيه) يقول (أن المخ يهضم، بكيفية ما، الانطباعات الحسية).

لقد نبه ماركس وأنجلز عقم الفلسفات الآلية وتخلفها عن مجاراة العلم في تطوره وعجزها عن تقديم شروح ملائمة لكثير من النتائج العلمية.

وفي النهاية، يأتي الحديث عن المادية التاريخية Historical Materialism.

في البداية يجب التعرف على نظرية ماركس في التاريخ(٧١). ومن المعروف أن ملامح الاشتراكية الماركسية المادية الديالكتيكية و(التفسير المادي للتاريخ)(٧٢).

والمادية التاريخية هي علم فلسفي، يتناول بالبحث قوانين حياة أي مجتمع وتطوره في إطار ما يميز تلك القوانين عن القوانين الشاملة للوجود عمومًا، وهي أسلوب فلسفي في تحليل الظواهر الاجتماعية يتجلّى في مراعاة التناسب بين الموضوعي والذاتي، بين الظروف والإنسان(٧٣). إذن قوانين التاريخ ظهرت من خلال التحليل العلمي الدقيق للمجتمع(٧٤).

٢- الأخلاق الماركسية (بناء أخلاقي بمقولات ماركسية)

أ- مدخل عام

سوف نتناول فيه عدة نقاط من شأنها أن تكشف عن الحالة الأخلاقية في الماركسية وهي:

النقطة الأولى

إنسانية الماركسية – الأخلاق بين الفكر والعمل

يتميز الإنسان، عند ماركس، بمبدأ الحركة(٧٥). إن مبدأ الحركة لا ينبغي أن يفهم بشكل ميكانيكي بل كدافع لحيوية خلاقة كطاقة. إن ماركس يعتبر العاطفة الإنسانية (القوة الجوهرية للإنسان، التي تندفع بقوة إلى موضوعها).

تعقيب ← هذا القول ضد ما يشاع عن موت العاطفة الماركسية فهل حلت العاطفة –هنا- محل العقل .. لا إنها توازنات ماركس التي لم يلتفت إليها أحد.

إن ماركس يبدأ في التعارض مع النزعة النسبية السوسيولوجية(٧٦) بفكرة أن الإنسان، بوصفه إنسانًا، هو كينونة قابلة للمعرفة والإدراك أي ان

الإنسان ككائن، من الممكن تحديده، ليس فقط، بيولوجيا، تشريحيًا، فسيولوجيًا، وإنما –أيضًا-سيكولوجيًا(*). وهذا المفهوم للطبيعة البشرية ليس تجريدًا بالنسبة لماركس، مثله مثل هيجل. إنه جوهر الإنسان في تغايره عن الأشكال المتنوعة لوجوده التاريخي فيقول ماركس (إن جوهر الإنسان ليس تجريدًا متأصلاً في كل فرد، على حدة).

إذن ما هو الإنسان الثري عند ماركس؟(٧٧)

طبقًا لمفهوم ماركس عن الإنسان الثري تنشأ رؤيته للفرق بين حس الملكية وحس الوجود.

"لقد جعلتنا الملكية الخاصة أغبياء ومحدودين لدرجة أننا لا نعتبر موضوعًا ما موضوعنا، إلا عندما نملكه، عندما يكون موجودًا بالنسبة لنا كرأسمال يؤكل – يشرب – يلبس – يسكن.

إن الماركسية(٧٨)، وكما تجلت في رأس المال وبما أنها علم يقرأ نظام الوجود الاجتماعي هي نقطة البدء لتأكيد فلسفة قيم ترسخ إنسانية الإنسان وتبعث حريته المهدرة.

إن كون العلم هو المنطلق، يفرض على الفلسفة، بما هي بحث في القيمة، تبرير وجودها، وتبرير إمكان الفعل القيمي في الوجود الحيادي.

تعقيب ← يفهم من هذا الترسيخ أنها فلسفة إنسانية تعني بإنسانية الفرد. وبالتالي بأخلاقه.

ولذلك وجدنا أن من بين تأكيدات ماركس(٧٩) الهامة هي مهمة الإنسان وهي مهمة أخلاقية فمطلوب من الإنسان أن يتطابق تمامًا مع الواقع، أن يصبح ما هو أن يحقق ماهيته في مظهره، أن يتخذ نسق الاختيار الوحيد الكلي، فهذا الموقف -على الأقل-له قوة قاعدة أخلاقية كقوة قاعدة هندسية، فالماركسية تحمل أخلاقية. ولكن مبنية فقط في مرحلة خاصة لحركة الواقع.

تعقيب ← هنا نجد إشارة واضحة إلى أن الأخلاق جزء من حركة الواقع والتاريخ والديمومة فهي -إذن -ليست أبدية ولا أزلية.

وهنا لابد من الحديث عن مكانة الأخلاق نظريًا وعمليًا من زاوية ماركسية.

في البداية كانت الأخلاق عبارة عن محاولة تطبيق الأحكام والمبادئ النظرية المقبولة فلسفيًا على حياة الناس أكثر من أن تكون مسألة فلسفية ما. وقد دأب كل فيلسوف على إصدار (وصفة) أخلاقية واعظًا بأنها شافية، وحانًا على تجربتها في الحياة .. ومن هنا صارت الأخلاق العملية إما مرتبطة بعلم الاجتماع المعروف بالسيوسيولوجيا أو محصورة بين دفتي كتاب من كتب (آداب المعاشرة)[٨٠].

وهنا يمكن القول أنه لا تبدو علاقة الماركسية بفلسفة الأخلاق[٨١] وأسس الأخلاقيات الموضوعية للشيوعية مسائل عملية مستقلة، وعندما يتناول الماركسيون، في الدول الصناعية المتقدمة بالفعل، فلسفة الأخلاق فإنهم يميلون إلى التركيز على النقد الماركسي للأخلاقيات مستخدمينه لتمييز (الاشتراكية العلمية) عن النزعة الخيرية غير العلمية عند الليبرالية والديمقراطية الاجتماعية، وحتى النقاد الجادون للماركسية مالم يكونوا هم منظري أخلاقيات يظنون أن العلاقة الماركسية بفلسفة الأخلاق مسألة جانبية. إن الجهد المعادي للنزعة الأخلاقية في الماركسية الأوربية لم يؤد إلى رفض شامل للمعايير والواجبات والمبادئ أو نبذ كل الفروض الأخلاقية.

وهكذا كانت نظرية ماركس وانجلز ومازالت مرشد للعمل وليست عقيدة جامدة وأن خطأ كارل كاوتسكي وأوتوبا أنهم لم يفهموا هذا الأمر[٨٢].

النقطة الثانية

من القيمة الاقتصادية إلى القيمة الأخلاقية

وطبقية الأخلاق

إن الفلسفة ليست بحثًا في الوجود، ولا بحثًا في العمل الغائي ذاته، سواء كان فعلاً أخلاقيًا فرديًا، أو فعلاً سياسيًا، أو فعلاً فنيًا، وإنما هي بحث في القيمة، بحث في جدل القيمة مع الوجود، وبالتالي تهدف إلى استخلاص القانون وبحث يستهدف الوصول إلى القيمة المطلقة – كما يرى البعض[٨٣].

إن شكل القيمة، عند ماركس، هو التمثيل المادي لهيئة العمل في تحديد المجتمع .. وهو يعني بذلك شكل القيمة (كتصور للإنتاج). ولكن عندما نقول المادة كتمثيل يعني شيئًا ما مختلفًا أي نعني أن شكل القيمة، في وجودها كتمثيل للتركيب الاجتماعي Social constitutionl وشكل القيمة يحدد بنقد العمل ونقد العمل يأتي من خلال تحليله، وتحليل العمل ليس بسيطًا وخاصة تحليل الاقتصاد

السياسي، فليس من البساطة تحليل الايديولوجيا والقانون والدولة فكل هذا يتم في إطار الحركات الاجتماعية(٨٤).

ولذلك نجد بعض الاقتصاديين الماركسيين يتحدثون كثيرًا عن نظرية العمل للقيمة، وتعريفها العام. وهو ما عالجه ماركس في أدبياته من خلال عرض مشكلة التحول (التغير)(٨٥).

في كتاب (توني) المجتمع المستغل حديث عن أن السعادة ليست بعيدة، وفي سبيل الحصول عليها واجه العالم كثير من النتائج غير المنتظرة، والتي تسبب متاعبه، كما كان انعدام الفرص الاقتصادية سببًا في المتاعب الاجتماعية في القرن (١٨) وإذا كانت إرادة الحصول على القوة الاقتصادية صادرة عن تصميم كاف فإنها تجلب الثراء إلا ان التصميم يقضي على (القيود الخلقية) التي يجب أن تحد من السعي وراء الغنى ولذا يجعل الجري وراء المادة لا معنى له أيضًا، إذ أن ما يعطي الأهمية للنشاط الاقتصادي كأي نشاط آخر الهدف الذي يوجه إليه(٨٦).

ومن هنا تحولت سلطة المال(٨٧) إلى مصدر قوة ونفوذ وهيمنة واستبداد وطغيان أي مصدر للسيادة والتسلط بالنسبة لمن يملكونه أفرادًا أو مؤسسات أو طبقات على حساب الأفراد ومن قوانينها النمو لأجل النمو La croissance pour la croissance والإنتاج لأجل المنفعة ولذلك كان القتل والتدمير خاصية جوهرية وملازمة لسلطة رأس المال. فقد نشأت السلطة على أنقاض الإنسان والطبيعة وقد أطلق عليهم جارودي أي على أصحاب السلطة من الرأسمالية **(القتلة)** الذين يريدون التضحية بكل شيء في سبيل تحقيق غايتهم، وهو زيادة الربح. هذه التسمية هي **(حفار القبور)** لأنهم يتسببون في قتل الفقراء وهذا التدمير هو ما جعله يطلق على هذه السلطة مصطلح **(طاحونة الشيطان)**، وهي التي تخرب الطبيعة وتلوث الماء والهواء من خلال ممارستها الاستغلالية(٨٨).

أما بالنسبة لطبقية الأخلاق فإنها تأتي من خلال التعرف على اجتماعية الأخلاق عند ماركس: وهي تعني انعكاسا للمجتمع حيث يتكون المجتمع من قسمين: الجانب المادي المتمثل في نوع الاقتصاد وحالة قوى الإنتاج وشكل ومسائل الإنتاج ونمط العلاقات الإنتاجية الاجتماعية، والقسم الثاني هو الجانب الفكري والمعنوي الذي يتمثل في الأساطير والاعتقادات والأخلاق والفنون وكل الدلائل تقول إن الجانب الثاني أو ما يسمى بالبناء الفوقي ينبع من ويقوم على أساس الأول أي البناء التحتي أو المادي.

إن التطور الفكري يرتبط بالاقتصادي والاجتماعي الذي يستطيع أن يفسر طبيعته وأسبابه(٨٩).

إذن، فإن كل قاعدة يقابلها بنيانها العلوي، وإذا تغيرت العلاقات الطبقية بين الناس، وتعدلت القاعدة التي يقوم عليها المجتمع أو انهارت وظهرت قاعدة جديدة تغير البنيان العلوي القديم بدوره، وأسرع إلى إخلاء مكانه لغيره(٩٠).

وهكذا شهدت المائة عام الأخيرة حدوث تغيرات كبرى في البناء الاجتماعي للبلاد الصناعية المتقدمة، ويمكن اعتبار تاريخ تلك الفترة – إلى حد ما مؤثرًا لنمو المساواة في مجالات جديدة في الحياة الاجتماعية أو نمو المواطنة كما وصفه بعض الكتاب ومنهم T.H Mar shall (Citizenship and social class) ١٩٥٠ كما اختفى مذهب الحرية الاقتصادية المطلقة الذي كان أكثر تطرفًا من الواقع العملي(٩١).

ومن هنا يقرر (بوتومور) أن الفروق الطبقية الموجودة في النظام التربوي في (الهند) قائمة في كثير من المجتمعات، ففي كل مجتمع نظام للتدرج الاجتماعي وبالتالي يوجد تباين داخل النظام التربوي نفسه(٩٢).

وعند ماركس – نجد بوضوح – أن المادية الديالكتيكية تؤكد أن لكل طبقة أخلاقها ومصالحها، وأن لكل مجتمع طبقي أكثر من أخلاق واحدة، بعكس القوانين، فهي تعبر – عادة -عن الطبقة الحاكمة، وما تراه لها من حقوق على الطبقات المحكومة وواجبات لهؤلاء تجاهها، بحيث تسلب الأكثرية المستغلة حقوقها وتحولها إلى متاع وآلات إنتاج ليس غير إذن فإن محاولة تبديل أخلاق لمجتمع معين لا تتم إلا بتغيير البناء التحتي (الأسس المادية الاجتماعية)(٩٣).

إذن الأخلاق ليس إلا أخلاق طبقة وعندما يصل أنجلز إلى هذه النقطة يلفت الانتباه إلى الوجه العقائدي الأيديولوجي للأخلاق.. واقعة أن الأخلاق يمكن استخدامها لحماية المصالح الخاصة وتبريرها لطبقة ما ويؤمن بفكرة أنه طالما كان المجتمع مقسمًا إلى طبقة تحكم وطبقة محكومة فإن تطبيق قواعد الأخلاق يتجه إلى الاكتفاء بحماية طبقة أو إلى الإثقال على كاهل أجزاء معينة في المجتمع(٩٤).

وهنا يجب الإشارة إلى تأثيرات هيجل على ماركس في مسألة الأخلاق الاجتماعية واستنتاج Deduction الأخلاق الاجتماعية من الأخلاقية عامة.. (٩٥).

النقطة الثالثة

سؤال الأخلاق الماركسية

بين الوعي التقليدي والوعي التجديدي

في هذه النقطة نحاول كشف الغموض عن الموقف الأخلاقي الماركسي وأسئلته ومنهجه ومشروعه. وبالتالي المهمة الحقيقية للقيم الأخلاقية في الماركسية.

يرى كامنكا في (الأسس الأخلاقية للماركسية)[٩٦] أن العلاقة بين الماركسية وفلسفة الأخلاق يجري تناولها تلميحًا ونادرًا ما يجرى استكشافها، والمجادلات حولها لم تقدم إلا أحكامًا[*] فيما يخص المسائل التضمينية فيها وماركس نفسه لم يقدم شيء مخصصًا بشكل مباشر لمشكلات الفلسفة الخلقية. ودليل ذلك لا يوجد تحليلاً نقديًا لمعنى المصطلحات الخلقية أو أساس التفرقات الأخلاقية، ولا نجد بالفعل أنه تناول بعناية مفهوم الإلزام الخلقي أو معيار تميز المطالب الخلقية عن غيرها من المطالب. ولكنه من المؤكد أنه رفض بالفعل تصور فلسفة الأخلاق باعتبارها علمًا معياريًا، لقد أنكر – بالمرة- وجود قيم ومعايير خارج العالم التجريبي للوقائع.

وكان لا يسأل عما ينبغي أن يكون، بل يسأل عما هو كائن، ومع ذلك فإن الأجوبة، التي أدلى بها ظهرت في أعين الكثير من تلامذته ونقاده على أنها أخلاقية ودعائية أخلاقية[٩٧].

وإن كنا نختلف مع بعض ما عرضه كامنكا بخصوص الأخلاق الماركسية، إلا أننا لابد، لكي نستكشف حقيقة الموقف الخلاقي عند ماركس، أن نتعرف على أسئلة الماركسية عن القيم.

السؤال الأول: [٩٨] عن كيفية الوصول لمستويات القيم الأخلاقية والجمالية وعلى أي شيء يمكن تحديدها؟

السؤال الثاني: منذ أصبحت هذه المستويات متنوعة فكيف يمكن لنا أن نكتشف الأشياء الصحيحة.

إذن سيبقى – دائمًا-السؤال حول موقف الماركسية من القيم[٩٩]، حيث توجد ثلاثة أنواع من الاقترابات الأول ما هو الخير والشر، وما هو الجميل والقبيح ولا توجد طريقة لإثبات إجابة واحدة هي الحقيقة True والأخرى فاسدة False؛ لأنها موضوع لاختلاف المشاعر.

أما الاقتراب الثاني فهو ميزة characteristic المؤسسة والنظام الديني والقيم الأخلاقية هنا لا تخلق بواسطة الإنسان بل يأمر بها إله معبود ما فوق الطبيعة Super Mature deity وهي أبدية أزلية eternal وغير متغيرة Unchangeable وعلى الإنسان أن يطيعها must obey لأنها إرادة الله كما أن العصيان والتمرد عليها يؤدي إلى عقاب الإله God's punishment بعد الموت.

أما الاقتراب الثالث فهو أن قيم الإنسان ليست تحكّمية تعسفية، فالإنسان هو الذي يخلق قِيمَهُ. إنه يخلق قيم معينة، ويرفض أخرى وتحدد بواسطة العلل causes، التي يكتشفها وقيمة الحقيقة إنما تحدد بواسطة طبيعته واحتياجاته وإمكانياته potentialities، وهو يطورها كموجود إنساني.

والماركسية تؤكد على الاقتراب الثالث[١٠٠] وتنحاز للمفكرين من والفلاسفة من أمثال أرسطو – اسبينوزا – هولباخ – كونت – جون ستيوارت مل – ديوي.

ومن هنا ندرك أن ماركس[١٠١] ينفي علم الأخلاق التقليدي، وتبقى -بعد ذلك- مسألة فعل الإنسان وقواعده فما من شك في أن على الإنسان أن يفعل. فالماركسية هي نقد لكل علم أخلاق تقليدي مبنيٍّ على ميل يتجاوز الاختيار (الأمر المطلق – القانون الإلهي – القانون الطبيعي).

ولذلك يؤكد (روبل)[١٠٢] على أن علم الأخلاق الماركسي يتميز –سلبيًا- بجهله الأوامر الأخلاقية، وإيجابيًا، إن مسْلكه برجماتي[*] عملي بصورة أساسية وهو يلتقي من خلال فيورباخ، بفكر أكبر جاهلي الأوامر الأخلاقية وهو اسبينوزا.

إذن كيف يمكن للإنسان أن يختار قيمة في الماركسية؟[١٠٣]

إنها تعتمد على الشخص الخالق المبدع ثم محاولة اختبارها examining من خلال التفكير فنختبر ما هو مقبول بالنسبة لنا، ثم نحاول أن نتبعه من خلال ما هو الأفضل، لأن الإنسان هو صانع هذه الطرق.. مثل ذلك مثل الطعام فليس كل الطعام متشابه في الجودة إنه اختيار يعد عقليًا rational وعلميًا Scientific بتأثير الجوهر المعطى في نماذجه المختلفة للبشر، وحتى على مستوى الدول وظروف الحياة يمكن لنا تحديد ما هو الجيد. هذه هي وجهة نظر الماركسية.

وهذا ما يؤكد، عند ماركس، تلك العلاقة الواضحة بين الوعي والأخلاق[١٠٤].. حيث يكون الوعي في موقف يحرر به نفسه من العالم، ويسير بنفسه نحو تشكيل الأشياء المجردة كالدين – الفلسفة – الأخلاق، وكل ما هو نظري خالص لكن لو حدث وعارض الدين أو الأخلاق، أو الفلسفة أو كل ما هو نظري، العلاقات القائمة الموجودة، فإن هذا يعني أن العلاقات الاجتماعية القائمة قد صارت إلى وضع تناقض قيمة مع قوى الإنتاج القائمة وهذا الأمر يحدث في مجال العلاقات القومية بظهور التناقض بين الوعي القومي ووعي الأمم الأخرى.

وهنا يؤكد ماركس أن الأخلاقيات العقلانية والقانون العقلاني مبادئ للسلوك[١٠٥].

إذن المهمة الأخلاقية المقصودة، عند ماركس، ليست سوى نداء لا يقاوم، لا يمكن للبشر، في وضع معين، أن يتملصوا منه مجموعيًا على الأقل[١٠٦].

إن فكرة الكل أو المجموع لها أهمية كبرى في صميم الفلسفة الماركسية، وحسبنا أن نقول عن هذه الفلسفة أنها مادية تقول بالتغير وتؤمن بالصيرورة وتفهم الديالكتيك سواء في الأشياء أم في الفكر فالحقيقة عند الماركسيين ذات طابعٍ نسبيٍّ مؤقتًا، وبالتالي لا توجد أخلاق أبدية كما ظن الفلاسفة بل إن الأخلاق هي أخلاق طبقة من الطبقات[١٠٧].

تعقيب ← هذا الرأي مردود عليه فالأخلاق غير متوحدة داخل الطبقة الواحدة فهناك استثناءات غفلها ماركس وأنجلز، تتعلق بالفردانية والخصوصية. ففي داخل المجموع توجد الأنا الجماعية والأنا الفردية.

فقد أصدر لوكاش[١٠٨] كتابه (التكنيك والأخلاق) وقدَّم فيه، لأول مرة، في الفكر الماركسي محاولة لتأسيس فلسفة القيم في الممارسة الحزبية داخل الحزب، وفي العلاقة مع الجماهير وداخل علاقات الإنتاج. وكان يريد أن ينتقد الممارسات الانتهازية والاستيلاء على ممتلكات الشعب.

كما يمتدح لوكاش Lukacs سيمون دي بوفوار لقولها بأنه ليس هناك مشكلة في هذا العصر، سوى مشكلة أخلاقية واحدة هي ما رأيناه في الماركسية وهناك مقالتان فلسفيتان تعالجان مشاكل العقيدة السياسية والعمل (أزمة الأخلاق الماركسية) هذه هي المشكلة نفسها التي لفتت اهتمام سارتر أيضًا، وهذه المشكلة تعتبر، بالنسبة له، خطأ إيمانه المنهار سواء كان هذا الخطأ من قبل هذه

المشكلة – أم لم يكن تلك المشكلة، التي تبدو وقد بهرت إحساسه الأخلاقي في الاعتبارات الأخرى[١٠٩].

كما يقول كامو: ينبغي أن نؤكد الجانب المشرق في الأخلاق الماركسية، والتي كانت الأساس الذي قام عليه الحكم الماركسي وعظمة كارل ماركس نفسه، فماركس يعلي من قيمة العمل، وقد ذكر ماركس أصحاب الامتيازات بأن امتيازاتهم لم تكن بالامتيازات الصادرة من السماء أن ما يملكونه ليس حقًا قدريًا قد وهب لهم للأبد وفضحهم ماركس واتهمهم بالإجرام[١١٠].

إن الأهداف الإنسانية النبيلة من إلغاء لاستغلال الإنسان لأخيه الإنسان والقضاء على الاغتراب وتحقيق أرقى أسباب الحرية والمعرفة والوفرة للفرد والمجتمع. إن هذه الأهداف التي يحملها المشروع الاشتراكي هي أهداف مفتقدة في المشروع الليبرالي[١١١].

فقد كان الحزب الشيوعي والمنظّرين السوفيت قد بدأوا في إلحاح على أهمية فلسفة الأخلاق في الماركسية لدواعي سياسية واضحة ولأن الماركسية الراديكالية في العشرينات قد أصبحت غير ملائمة بشكل متزايد لمشكلاتهم، ومن زاوية أخرى فإن نقاد ماركس في أوربا الغربية قد أظهروا اهتمامًا متزايدًا بالتصورات الأخلاقية الفلسفية وخاصة الاغتراب[١١٢].

ومن هنا جاء التركيز على الفروق بين الأخلاق البرجوازية وأخلاق البروليتاريا .. أخلاق البرجوازية تعكس مبادئها، وأساليبها أنانية وفردية، وطريقة حياتها لا أخلاقية؛ لأنها تتعارض مع المصالح المشتركة للإنسانية. ثم أخلاق الاشتراكية (البروليتاريا) التي خلقت في ظل النظام القديم والمبادئ الأخلاقية التقدمية[١١٣].

وسوف نقوم بتحليل نوعي الأخلاق فيما بعد؛ فقد كانت الأخلاق، ومازالت، هي البحث عن توقير الحياة وتوكيدها إنها الحياة الكريمة للبشرية.

إن الحياة[١١٤] تنمو. كما جاء في فلسفة الحضارة – من نفس الجذر الذي ينمو منه توكيد العالم والحياة لأن الأخلاق ليست، هي الأخرى، غير احترام للحياة. وهذا ما يزودنا بالمبدأ الأساسي في الأخلاقيات، ونعني بذلك أن الخير هو في حفظ الحياة وترقيتها وأن الشر هو تحطيمها وتضييق أفقها.

أن معنى توقير الحياة[١١٥] respect of life أن يكون المرء في قبضة أفراده اللامتناهية اللامفسرة الدافعة قُدُمًا، القائمة في الوجود إنها ترفعنا فوق كل

معرفة بالأشياء وتجعلنا نصير مثل شجرة آمنة من التيارات. لأنها مغروسة وسط الجداول الجارية.

وذلك لأن البشر لا يقنعون بالاكتفاء بعيش الحياة ولكنهم يرون أنفسهم مضطرين إلى تقييم وجودهم، وتحديد هل يحيون حياة كريمة أم حياة بشعة، فهم يسْعون للحكم على قيمة الأهداف(١١٦).

فهل الأخلاق بهذا عند ماركس لها الصفة الموضوعية؛ وما هو قانونها الخلقي؟؟

إن الأخلاق الموضوعية لا تنتهي ولا تختفي عند ماركس، ولا يمكن استبعاد تفسيرها (ما هو سيء بصفة عامة يظل سيئًا ولا يهم الشخص الذي هو حامل للسوء، سواء كان ناقدًا خاصًا أو موظفًا حكوميًا"(١١٧).

أما القانون الخلقي(١١٨) Moral Law فهو مبدأ أخلاقي في الفلسفة المثالية يستخدم كقاعدة للسلوك. وقد صاغ فولتير القانون الخلقي كقاعدة للأخلاق (عامل الآخرين بمثل ما تريدهم أن يعاملوك به) وقدم كانط القانون الأخلاقي باعتباره تنبيهًا أخلاقيًا غير مشروط لا يحتاج إلى تبرير أخلاقي. أما **الأخلاق الماركسية** فترفض نظرية القانون الخلقي باعتباره مقولة خارج الطبقات والتاريخ.

ودليل ذلك أن نظرية ماركس(١١٩) ترتكز على صراع الطبقات وأن قوة المذهب الماركسي لا تقوم على نظرته إلى التاريخ أو التنبؤات المستقبلية التي يبنيها على هذه النظرية، بل على إدراكه الواضح بفعل الظروف الاقتصادية وتأثيرها في الإنتاج (الفكري – الفني – الخلقي) على الإنسان – كما يرى سارتر.

ومما يؤكد على قيمة التفسير المادي للتاريخ وعلاقته بالأخلاق(١٢٠) هو ما ذهب إليه كوتسكي kautsky من أن التفسير المادي للتاريخ هو أول تفسير طرح على نحو متكامل المثال الخلقي على أنه العامل الموجه في الثورة الاجتماعية. وأن هذه النظرية قد (علمتنا أن نستنبط أهدافنا الاجتماعية من معرفة الأسس المادية وحدها، فوضّحت لنا ما ينبغي أن نفعله في كتابه (فلسفة الأخلاق والتفسير المادي للتاريخ).

ومن خلال المنظور المادي للتاريخ وعلاقته بالأخلاق يمكن النظر إلى الأخلاق الماركسية نظرة تطورية.

والسؤال هو: ما هي الأخلاق التطورية[١٢١]

هي اتجاه آلي في فلسفة الأخلاق أسسه سبنسر وكان من المؤمنين بنظرية الأخلاق المتطورة في القرن (٢٠) المبادئ الأساسية للأخلاق التطورية هي ينبغي أن يكون للسلوك الأخلاقي للإنسان وظيفة التكيف مع الأشياء المحيطة، والعملية التطورية هي معيار الأخلاقيات وكل شيء يدعمها فهو خير وكل شيء يعارضها فهو شر.

وتبعًا لذلك نجد الهيجلية[١٢٢] – التي تأثر بها ماركس – هي نظام يصعب استخلاص أخلاق منه إلا إذا كان القول يعيش الواقع عقلانيًا، وهذا ما يعادل موقف العلم المطلق الجديد بفهم (التطور) بصورة كاملة.

الماركسية هي هيجلية حقيقية بحيث إنها تتمكن -بصعوبة بالغة- من تقديم أساس أخلاقي بالمعنى التقليدي.

علاقة المادية بالأخلاق

يرى البعض أن المادية تأخذ معنى اللاأخلاقية، إلى الرغبة العارمة في الملذات والأفق الضيق الذي ينحصر في الحاجات المادية فقط[١٢٣].

والسؤال هل هذا صحيح، طبقًا لما عرضناه، عن الأخلاق الماركسية .. إنه سؤال.

يفسر سارتر في (المادية والثورة)[١٢٤] علاقة المادية بالأخلاق .. فقد عرّف أوجيست كونت المادية بأنها المذهب الذي يحاول أن يفسر الأعلى بمفاهيم الأدنى وكلمتا الأعلى والأدنى لا يجب أن نفهمهما –هنا- بمعناهما الأخلاقي لكن كشكلين معقدين بصورة ما لنظام ما من النظم – كما ينظر البعض إلى العالم على أنه أدنى منهم، كما تنظر الطبقة المضطهدة إلى نفسها كطبقة أعلى.

وعند غوريون[١٢٥] نجد أن طريقة إنتاج الحياة المادية تحكم العمليات الاجتماعية والسياسية والروحية للحياة عامة من أهمية استثنائية لفهم التطور الاجتماعي.

ويؤكد مكسيم جوركي[١٢٦] على أن الشعب هو القوة التي تخلق القيم المادية[*]، وهو كذلك، المصدر الوحيد الذي لا ينضب لكل القيم الروحية، فالشعب من قبل الشعراء والفلاسفة، الذين لا يبارون في عبقريتهم الإبداعية، هو مؤلف أعظم الشعر والمآسي، التي قدر لها أن تكتب وأعظمها جميعًا هو تاريخ

الثقافة الإنسانية (وقد جاء ذلك في مقال بعنوان: "تحطيم الشخصية" كتبه جوركي عام ١٩٠٨ ونشره عام ١٩٠٩).

إذن فإن معالجة الأخلاق وتطورها[١٢٧] وتاريخ الفكر يصبح بلا معنى ولا خطة إذا لم يكن على أساس معالجة تأريخية مستعرضة للتشكيلات الاقتصادية الاجتماعية الكبرى، كما أن المبادئ الخلقية والحقوق الدستورية والتشريعات القانونية ليست معايير عقلانية أو خالدة يسبق المجتمع ويحدد طبيعته من أعلى، بل هي تنتج من طريقة الحياة ووسائل المعيشة والنشاطات الاجتماعية وليس العكس، ولذلك فإن المبادئ الخلقية والحقوق الدستورية والأنظمة القانونية تتغير باستمرار.

إذن الحياة ليست مادية فقط عند الماركسيين، ودليل ذلك ما جاء به د. زكريا إبراهيم في (مشكلة الحياة) [١٢٨] فيقول: حتى لو تصورنا الحياة على نحو مادي صرف سواء أكانت هذه المادية ميكانيكية أم ديالكتيكية، فإننا لن نستطيع أن نعد الحياة البشرية مجرد انعكاس لقوانين العالم المادي (الطبيعي) على المجتمع البشري، ومن المعروف كيف رَحَّب الماركسيون -(مثلا)- بنظرية داروين في النشوء والارتقاء، ولكننا نجد أن انجلز يرفض تفسير الوجود البشري بالاستناد إلى مبدأ الصراع من أجل البقاء، وحجته في ذلك أن هناك فارقًا أساسيًا بين نشاط الحيوان ونشاط الإنسان، لأن كل ما يستطيع الحيوان القيام به هو عملية (التجميع) في حين أن الإنسان ينهض لعملية (الإنتاج) فيجهز بنفسه وسائل معيشته محققًا بذلك عملية ما كانت الطبيعة تستطيع القيام بها بدونه ولذلك يرى انجلز أن داروين لم يفطن إلى أن الحياة البشرية لا تعني البحث عن وسائل المعيشة بل تعني الإنتاج والاستمتاع والترقي.

وفي النهاية ... إذا كانت المادية لا تعني نفي الأخلاق، فهل يمكن اعتبار الماركسية فلسفة نفعية؟

يرى كامنكا[١٢٩]: أنه يوجد إيحاء خافت بوجود نزعة وسيلية instumentalism أي وجود نزعة برجماتية، بالمعنى الحقيقي، كامن في ربط ماركس الحقيقة بالواقع (القوة) فإذا كان ماركس يقول إن العقائد الحقة تجري البرهنة عليها، أو تتأكد –بالأحرى- في الممارسة في تناولنا، وتعاملنا مع موضوعات هذه العقائد إذن فإن هذا يكون صحيحًا، وإذا كان ماركس يقول ما قاله البرجماتيون إن (كل س هو ص حقيقة) وهذا لا يعني سوى (أن كل س هو ص هكذا في الممارسة).

نظرة نهائية حول تأرجح الأخلاق الماركسية

بين القبول والرفض

مهما قيل عن زيف الأخلاق الماركسية من قِبل البعض إلا أنها موجودة وموجودة بعمق.

فقد استند البعض على زيف الأخلاق من خلال ما ورد في (البيان الشيوعي)[١٣٠] مثل (إن القانون والأخلاق والدين ليست كلها، في نظر البروليتاريا، إلا أوهامًا برجوازية تؤمن بأهدافها وكل وسيلة تؤدي إلى هذه الغاية هي خير. إن النظام الخلقي في أي مجتمع وديانته وقوانينه ليست غير جزء من بناء زائف أقامته ظروف الإنتاج، فهي تترجم بالتالي إلى مصلحة الطبقة السائدة).

وأن معنى هذا أن القيم الأخلاقية، والمثل والمعايير إنما تمثل فقط تعاليم الطبقة السائدة، وطبيعي ألا تجد القيم الخالدة في العقائد الدينية مكانًا لها ضمن الإطار المادي عن الأخلاق. فقد أعلن لينين ١٩٢٠ ان الأخلاق هي كل ما يؤدي إلى هدم هذا المجتمع الاستغلالي.

والحقيقة –عندنا- أن السؤال عن الأخلاق الماركسية هو سؤال عن وجود وتفعيل، لا عن عدم وغياب.

إذن، نعم توجد أخلاق ماركسية[١٣١]، ويوجد مذهب أخلاقي يختلف عن الأخلاق التقليدية المرتبطة باللاهوت ويتحدث لينين عن الأخلاق الماركسية ويتساءل هل توجد أخلاق شيوعية؟ بديهي أنهم يزعمون أن ليس لنا أخلاق. وفي هذا خلط يشوش الأفكار يزرع الاضطراب في عقول العمال والفلاحين فبأي معنى ننكر الأخلاق .. إننا ننكر الأخلاق، التي تبشِّر بها البرجوازية، في دعواها أن الأخلاق مشتقة من أوامر الله.

إذن ليست الماركسية محوًا للأخلاق والتاريخ يشهد بذلك[١٣٢].

موقف الماركسية من الدين موقف تأملي وعلاقته بالأخلاق

في البداية يجب التعرف على موقف فيورباخ من الدين هذا الموقف الذي تأثر به ماركس إلى حد كبير..

فكان لكتاب فيورباخ (ماهية المسيحية)[١٣٣] أهمية كبيرة وخاصة أنه أخذ كمواصلة لحملة اليسار الهيجلي على الكنيسة الكاثوليكية شأنه شأن كتابي شتراوس وباور .. وعن هذا الكتاب أخذ ماركس فكرة الصلة بين الماهية والحاجة.

وموقف فيورباخ من الدين[١٣٤] ينطلق من واقعة أن الدين يجعل الإنسان غريبًا عن نفسه، ويشطر العالم إلى عالم ديني موضوع (مادة) التصورات وعالم دنيوي ويقوم عمله على تحليل الدين في ركيزته الدنيوية. وهذا الأمر تبرزه بوضوح هذه الملاحظة في رأس المال (المجلد الأول – الكتاب الثاني – المنشورات الاجتماعية – باريس ١٩٦٧).

ومن وجهة نظر ماركس[١٣٥]، ومن بعده مانهايم، هو بديل للعلوم الطبيعية والاجتماعية، لقد نشأ الدين لزمن الأدغال والمغاور من تخيلات بدائية، ومن تخيلات أساء فيها الإنسان الفهم لطبيعته الخاصة وللطبيعة الخارجية المحيطة به ... أي أن الدين لا ينظر إليه كأيديولوجية عند ماركس[١٣٦] Religionas Ideology ويأتي ذلك من تأثر ماركس بفيورباخ من زاوية الجوهر الإنساني والوجود المقدس. ففي الدين الإنسان يخلق الله فيظهر الإنسان على أنه خالق creator ويعتبر هذا التصور هامًا للذاتية والموضوعية للخالق والمخلوق وهو أصل للتصور الماركسي في الاغتراب والعزلة.

إن التصورات الدينية[١٣٧] عند ماركس في عداد الخيال الاجتماعي. ولكن لا ينبغي إعطاء هذا التعبير أي معنى تحقيري، فكل ما تقدم يرى بخلاف ذلك إلى إثبات أن الخيالي ينطوي على حقيقة، غير أن التصورات تنسق وفق منطق الكلام، وأن النصوص المقدسة في معظمها تعبر بصورة أمثال وأساطير، ومن ثم لابد من تأويلها لتوضيح معناها الباطني. ورسالة الإيمان قابلة لتأويلات مختلفة وحتى متناقضة وقد استطاعت حث البشرية على الخضوع إلى التسليم بالنظام القائم واستطاعت سوقهم إلى تحمل آلامهم باعتبارها مشيئة الرب .. والحال هذه انتقد الماركسيون الدين لا كدين بل كأيديولوجية، ولذلك لم يجعل ماركس وانجلز لا نظريًا ولا عمليًا من الكفاح المناهض للدين هدفًا ثوريًا كما يرى ميشال.

ومن هنا جاء موقف ماركس[١٣٨] من نقد للدولة الدينية وموقفه من العلم الروحاني والتصوف.

ومن المعروف أن لماركس موافقاته على الأفكار المسيحية في سنواته الدراسية، والمرحلة الثانية معارضة للمسيحية ومجموعة معتقداتها في الوقت

الذي كان فيه طالبا في جامعة برلين. أما المرحلة الثالثة فهي استخدام النقد الديني عن طريق تحليل الاقتصاد الاجتماعي Socio- economic analysis. فقد ظهر ذلك في عام ١٤٧٢.

والدين وجهة نظر أكاديمية برجوازية[١٣٩]، هو نظرة إلى الكون وطريقة حياة محددة بالإيمان بوجود إله أو ألوهية، هو شعور بالارتباط والتعلق تجاه قوة سحرية مبجلة، إلا أن هذا التعريف غير مفيد لأنه مثالي، لا يربط بين الشعور والواقع وبين البناء الفوقي والعلاقات الاجتماعية.

ولذلك يقول انجلز – الدين انعكاس خيالي في رؤوس الناس لتلك القوى الخارجية التي تتحكم بوجودهم اليومي.

ومن هنا فليس موقف الشيوعية[١٤٠] المعادي لكل دين عداء لا هواده فيه ظاهرة عرضية – كما يرى المؤلف – وإنما هي نابع من جوهر النظرة الشيوعية العامة إلى الحياة ونظام الحكم الشيوعي نظرة متطرقة لتمجيد الدولة، والشيوعيون يعلنون إلحادهم النضالي، والشيوعية هي عدو لكل أشكال الدين وخاصة الدين المسيحي لا بوصفه نظامًا اجتماعيًا، وإنما باعتباره دينًا في حد ذاته، لأنها تريد أن تكون نفسها دين وأن تحل محل المسيحية.

ومن هنا جاء قول اريك فروم[١٤١] بأن فلسفة ماركس مذهبٌ وجوديٌ روحيٌ بالمعنى غير الديني، إنها، يسبب هذه الخاصية الروحية بالذات، تتعارض مع التجربة المادية العصرية وتتفارق كثيرًا عن الفلسفة المادية السائدة هذه الأيام.. إن الاشتراكية مذهب (خلاص نبؤي) حسب لغة القرن (١٩).

في حين يرى البعض أن نقد ماركس للدين[١٤٢] مطابق لإنكاره كل القيم الروحية. وقد بدا هذا الأكثر وضوحًا لأولئك الذين يدَّعون أن الإيمان بالله هو شرط التوجه الروحاني، ولكنّ هذه التصورات الشائعة عن مادية ماركس وعداءه للنزعات الروحية والنظم الإنسانية هي صورة زائفة كليًا.

ومن هنا كان لابد من مناقشة جملة ماركس الهامة الدين أفيون الشعوب .. لأن ذلك سيؤسس للعلاقة بين الدين والأخلاق عند الماركسية.

كتب ماركس[١٤٣] "إن الشدة الدينية هي في جزء منها التعبير عن الشدة الواقعية، وفي جزء آخر الاحتجاج على الشدة الواقعية الدينية، وهو تحسر الإنسان المضطهد، حرارة عالم عديم الشفقة، مثلما هو روح الأوضاع الاجتماعية التي لا مكان للروح منها: إنه أفيون الشعوب".

هذه العبارة (أفيون الشعب)[١٤٤] كانت مادة تعليقات كثيرة يكشف – أغلبها- عن لا فهم كامل لفكر ماركس فهو تفسير، كإدانة قاسية، للدين. وسياق الكلام جاف بخلاف ذلك لإقامة الدليل على أن هذه العبارة هي بالأحرى (تقويم مدحي) فمن المحتمل أن يذكر الأفيون في أيامنا هذه بمخدر تلاشى تأثيراته الإرادة والملكات الفكرية، لهذا الذي يستعمله. وفي القرن (١٩) كان دواء يستعمل عادة في مختبرات الأدوية كمسكن وتسميه الدين بالأفيون كان، ببساطة تذكيرًا بالخاصيات المهدئة للآلام الإنسانية، وكان برهانًا استخدمه بسعة علم الدفاع عن العقائد المسيحية لمصلحة الخاصة.

إلى جانب أن هذه العبارة ليست ابتكارًا لماركس بل لكانط (الذي لا يخفي إيمانه الديني على أحد ففي (الدين في حدود العقل) يستخدم كانط في الواقع هذه العبارة للإشارة إلى المواساة التي يحملها الكهنة إلى فراش المشرفين على الموت.

ومن هنا يمكن القول إن كلمة (أفيون) [١٤٥] استغلت لتعطي معنى الاستهانة بأن فسرت تفسيرًا مغرضًا ومغلوطًا تمامًا كما فعل معارضو الماركسية، حين فسروا ماديتها تفسيرًا مضللاً، بل فسروها بعكس ما أريد بها تمامًا، وواضح أن ماركس يقصد بأفيون الشعوب معنى (التنهيدة والتنفيس لا التخدير) بل إن الذي قصده في كل ما جاء في الفقرة هو أن يقول إن البشرية وجدت في الدين عزاءها فيما كابدت من شقاء وعانت من ظلم.

ومن هنا كان إلغاء الدين، عند ماركس،[١٤٦] من أجل سعادة حقيقية؛ لأنّ الدين سعادة وهمية للشعب، يعني عند ماركس المطالبة بالسعادة الحقيقية والمطالبة بتخلّيه عن الأوهام في وضعه، تعني المطالبة بتخلّيه عن وضع يحتاج إلى أوهام، إذن فإن نقد الدين هو أصلاً نقد وادي الدموع هذا الذي يشكل الدين هالته.

ولهذا رأى ماركس[١٤٧] أن القوة الرئيسية، التي تؤدي إلى التغيرات في الإدراك البشري والتنظيمات الاجتماعية لا يمكن العثور عليها في العقل البشري ولا في أي فكرة سامية أو وحي مقدس، بل في الظروف المادية للوجود (إنتاج ضروريات الحياة) الذي يعتمد على قوى الإنتاج.

لذلك وجه ماركس اللوم إلى الأخلاق المسيحية، وخاصة حول الزهد في نقده الديني، ولكن ماركس في نقده لا يهاجم الأخلاق المسيحية وحدها كما هو يفهمها .. فالماركسية تنقد كل قيمة، كما تنقد كل حقيقة أزلية فلا توجد حقيقة مبررة إلا في التطور التاريخي الفعلي، كما أنه لا يمكن أن يكون ثمة قيمة إلا مثبتة في هذا التطور.

تعقيب ← ومن هنا فالحقيقة عند ماركس في باطن التاريخ فالماركسية بناء على هدم وإبراز لصورة أخلاقية خارج الإطار التقليدي..

٤-الأخلاق الماركسية بين الاغتراب والنضال

أ-أخلاق الاغتراب والعزلة

إن مفهوم الاغتراب[١٤٨] Alienation يكشف عن تنوع استعماله وتعدد معانيه، وبعض هذه المعاني تعاني من الغموض إلى درجة تكاد تنتفي معها قيمتها العلمية. وأن الجانب المعرفي Congnitive A spect لهذا المفهوم قد تعرض لتحليل في عدة اختصاصات ومازال الباحثون المعاصرون يعلقون على فحصه لتشخيص دلالته.

والاغتراب بمعنى الانفصال – الاغتراب بمعنى الانتقال – الاغتراب بمعنى الموضوعية – انعدام القدرة والسلطة – انعدام المعنى – تلاشي المعايير.

وقد تعددت التحليلات[١٤٩] اللغوية لكلمة اغتراب[*] وخاصة داخل السياقات المتعددة. السياق القانوني – السياق النفسي والاجتماعي – السياق الديني.

والسؤال هو هل الاغتراب خاصية مميزة للوجود الإنساني[١٥٠] في العالم أم أنه مرتبط بوجود الإنسان في عالم تاريخي معين؟ أم أنه ظاهرة يمكن التخلص منها لأنه يرجع بالأصل إلى وجود بعض الملابسات والأوضاع والظروف التاريخية، ويمكن تغييره إذا تغيرت الظروف الاجتماعية والاقتصادية؟

الاغتراب –إذن- هو ← الانسلاخ عن المجتمع والعزلة[*] والانعزال. وقد يضاف إلى هذا الإخفاق في التكيف مع الأوضاع السائدة في المجتمع واللامبالاة وعدم الشعوربالانتماء وبمغزى الحياة .. ومفهوم الاغتراب قديم، وليس قاصرًا على المجتمع الصناعي الحديث .. فالاغتراب ظاهرة إنسانية توجد في مختلف أنماط الحياة الاجتماعية وكل الثقافات كما أن لها أصول ميتافيزيقية قديمة.

كما يتناول تاريخ الاغتراب موضوع رفض القيم السائدة لاستحداث قيم جديدة مثل ما قام به الثوريون من مغادرة أوطانهم فقد عانوا تجربة الاغتراب.

إرهاصات الاغتراب بين هيجل وفيورباخ

يجمع الباحثون على أن هيجل ١٧٧٠-١٨٣١ هو أول من استخدم في فلسفته مصطلح الاغتراب استخدامًا منهجيًا مقصودًا ومفصلاً، ومع تزايد البحث في تأثير هيجل على من جاءوا من الفلاسفة الذين أخذوا عنه هذا المصطلح، تزايد البحث في الاتجاه العكسي، أي تأثر هيجل بالسابقين أو المعاصرين له[١٥١].

والاغتراب في الفلسفة الهيجلية،[١٥٢] يعني الاستلاب أيضًا، وقد اعتمدها هيجل في التعبير عن تصوره واقع الوجود بأنه ظاهرة استلبت أو انتزعت من ماهيتها التي هي الفكرة المجردة أو الحقيقة المطلقة، فالوجود لهذا في (غربة) افتقد بها حقيقته، وصار يسعى عبر الزمن أو التاريخ إلى استعادتها أي ان الوجود نقص افتقد جوهره أو روحه، وراح يسعى بالتغيير المتواصل إلى استعادتها.

ولذلك يعتبر هيجل[١٥٣] هو المفكر الذي أغنى مفهوم الاغتراب حيث اعتبر تاريخ الإنسان هو تاريخ الاغتراب فهو يكتب في فلسفة التاريخ "إن ما يسعى العقل حقيقة من أجله، هو تحقق فكرته، ولكنه في فعل ذلك، يقوم بإخفاء ذاك الهدف عن رؤيته، ويكون فخورًا وراضيًا عن هذا الاغتراب عن جوهره".

ومن هنا كان تأثير تفكير هيجل الاغترابي على ماركس وهو ما سوف نلمسه حين نتناول اغتراب ماركس.

أما بالنسبة لفيورباخ[١٥٤]– والذي تأثر به ماركس كثيرًا – فيرى أن الاغتراب هو سلب الإنسان لنفسه وتعرية نفسه بنفسه وإضاعته لنفسه. والاغتراب هو سيطرة الموضوع على الذات وسيطرة المنتَج (بفتح التاء) على المنتِج (بكسر التاء) ويستخدم الاغتراب، عند فيورباخ، على الإنسان عمومًا كوحدة مجردة.

وقد قام ماركس[١٥٥] بانتقاد فيورباخ، وخاصة في الاغتراب الديني فقد أرجع فيورباخ الاغتراب الديني إلى اغتراب الماهية الإنسانية، فالكائن المقدس أو الله ليس شيئًا آخر سوى الوجود الإنساني بعد أن تم تنقيته وتطهيره من كل النقائص الإنسانية. ومن هنا، فإن كل الصفات التي ننسبها إلى الطبيعة المقدسة هي صفات الكائن الإنساني. والحل الذي يقدمه فيورباخ يبدو في رأي ماركس حلاً ساذجًا لأنه يتعاطى عن حذر المشكلة باعتبار أن هذا الاغتراب الديني ينشأ عن تناقضات اجتماعية واقتصادية فالبؤس الأرضي هو الذي يخلق الفردوس السماوي.

خصوصية الرؤية الماركسية الاغترابية

لقد ورد مصطلح الاغتراب، عند ماركس، في مؤلفاته التي تعرف بمؤلفات الشباب مثل المخطوطات الاقتصادية والفلسفية والتي كتبها ١٨٤٤ والتي نشرت بعد وفاته (الأيديولوجية الألمانية) ١٨٤٥. وأما مؤلفات سن النضج مثل (مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي) و(رأس المال) ١٨٦٤-١٨٧٦ قد خلت من ذكر مصطلح: الاغتراب.

وقد اهتم ماركس بالاغتراب الاقتصادي الذي يعدهَّ أصلاً لجميع أنواع الاغتراب الأخرى(١٥٦).

ويعتبر ماركس من رواد البحث الهادف لتحليل مفهوم الاغتراب الذي منحه طابعًا إمبريقيًا وسوسيولوجيا بعد أن كان مفهومًا ميتافيزيقيا ولاهوتيًا، وقد برز اهتمام ماركس بهذا المفهوم بصورة خاصة في مؤلفه (مسودات اقتصادية وفلسفية Economic and philosophical Manuscript المنشور عام ١٨٤٤(١٥٧).

ويرى كامنكا(١٥٨): أن مفهوم الاغتراب عند ماركس له معنى أبعد حيث يعطيه دورًا أساسيًا في جدله الاجتماعي أنه وهو يرى الاغتراب على أنه ماهية الحياة الاقتصادية في شكلها الاقتصادي السياسي، قد سعى إلى رد جميع تناقضات الحياة الاقتصادية إلى حقيقة واحدة: الاغتراب الذاتي الإنساني المعبر عنه في الملكية الخاصة ومحو هذه الملكية عنده يعني حل التناقضات في المجتمع العقلاني للإنسان اللامغترب الكامل .

إذن ما هي علاقة الذات والموضوع في الاغتراب الماركسي سؤال؟

إن الاغتراب أو الانخلاع يعني، بالنسبة لماركس(١٥٩): أن الإنسان لا يمارس ذاته كقوة فعالة في عملية فهمه للعالم، بل كون العالم (الطبيعة – الآخرون –هو ذاته) مازال مغرَّبًا بالنسبة للإنسان إنها تقف فوقه وضده كأشياء .. إن الاغتراب هو –جوهريًا- ممارسة للعالم وللذات بشكل سلبي كما لو (أن الذات هي في حالة انفصال عن الموضوع).

ومن هنا يرى ماركس أن الاغتراب هو النقص في التحقق الذاتي(١٦٠) Alienation lack of Self realization ولذلك يرى ماركس أن الحياة الجيدة للفرد كانت دائمًا واحدة من النشاط المتعلق بتحقق الذات ولا تستطيع الرأسمالية أن تقوم بذلك أما في الشيوعية، فسوف يستطيع الإنسان أن

يعيش حياة إيجابية إنهاحياة (التحقق الذاتي) والتحقق هذا يمكننا من العيش بامتلاء وحرية من خلال القدرات الخاصة بكل فرد.

والمسألة الأولى في الغربة[١٦١]، التي صاغ كارل ماركس قانونها الأساسي بقوله (بقدر ما يزيد ما عندك بقدر ما يتناقض كيانك، فعالم الملكية والغربة الذي تتخذ فيه العلاقات الإنسانية مظهر الأشياء المنفصلة عن الإنسان المعادية له والمسيطرة عليه يطبق بكل ثقله على الكائن ويقف في وجه الظلام .. وهذا التناقض قائم في قلب الإنسانية البرجوازية من أيام جوته حتى سان جون بيرس.

فقد حاول ماركس[١٦٢] التمييز بين التموضع، أو باصطلاح هيجل، التخارج من جهة والاغتراب من جهة أخرى، فالتموضع، في نظره، هو الجانب الإيجابي للعمل أي تخارج قوى الإنسان وإرادته على نحو يكتسب معه عمل الفرد طابعًا اجتماعيًا، أما الاغتراب فهو الجانب السلبي للعمل، ولا ينشأ عند ماركس إلا في ظل ظروف اقتصادية واجتماعية تقوم على الملكية الخاصة والاستغلال ..

ومما لا شك فيه أن ماركس يؤكد على أن الاغتراب يؤدي إلى فساد كل القيم[١٦٣] فيجعل الاقتصاد وقيمة الكسب والعمل والتوفير هي الهدف الأعلى للحياة مما يفشل الإنسان في تطوير القيم الأخلاقية واقعيًا (غنى الضمير الطيب وغنى الفضيلة وغيرها).

ولكن كيف يمكن أن أكون فاضلاً، إن لم أكن حيًا، وكيف يمكن أن أملك ضميرًا طيبًا إذا لم أكن مدركًا لأي شيء.

ففي دولة الاغتراب يكون كل ميدان من ميادين الحياة في الجانب الاقتصادي والأخلاقي مستقلاً عن الآخر.

ومن هنا كانت فلسفة ماركس[١٦٤]، كحال معظم الإنتاج الفكري الوجودي احتجاجًا ضد اغتراب الإنسان وتحوله إلى شيء، كما أنها حركة تقف في وجه عملية تشويه إنسانية الإنسان وتحوله إلى آلة هذا الأمر الذي تأصل خلال عملية تطور الثورة الصناعية الغربية.

منظومة اغترابية في ضوء أوضاع اقتصادية

(الاغتراب منتج طبيعي في مجتمع رأسمالي)

لقد تحول الإنسان إلى سلعة، واغترابه عن نفسه أنه يعيش قوى حياته، على أنها مستثمرة، يجب أن تحمل له أقصى ربح ممكن بشرط السوق القائمة أن العلاقات الإنسانية هي –أساسًا- تلك العلاقات الخاصة بالأجهزة الآلية المغتربة، كل منها يقيم أمنه على البقاء قرب القطيع وعلى ألا يكون مختلفًا في الفكر والمشاعر والسلوك. إن الإنسان الحديث قريب جدًا من الصورة التي رسمها (هكسلي) في (العالم الجديد الشجاع) يتغذى ويكتسي جيدًا ويشبع رغباته الجنسية ومع هذا فهو بلا نفس(١٦٥)..

إن المجتمع الرأسمالي الحديث تنظيم من الاستعراضات Spectacles بأنه لحظة مجمدة من التاريخ، من المستحيل فيها أن تخبر الحياة الواقعية أو تشارك بفاعلية في بناء العالم المعيش. وقد جادل البعض بأن الاستلاب alienation المحوري بالنسبة للمجتمع الطبقي والإنتاج الراسمالي قد تخلل كل مجالات الحياة الاجتماعية والمعرفة والثقافة. والنتيجة هي أن الناس أصبحوا مستلبين ليس فقط من السلع التي ينتجونها ويستهلكونها بل عن نفس خبراتهم ومشاعرهم.. وتبعًا لأوصاف ماركس فكل عمل ينجز في إطار الرأسمالية بأدائه ليس لكي يشبع حاجة بل كوسيلة إشباع حاجات أخرى هو خارجي وغريب (منبوذ مثل الطاعون)(١٦٦).

إذن موضوع الغربة عند ماركس يتمثل في النظام الرأسمالي باستلاب العمل واغتراب العامل(١٦٧).

إن عملية الاغتراب يتم التعبير عنها في العمل، وفي تقسيم العمل، فالعمل بالنسبة له هو التواصل الفعال للإنسان مع الطبيعة، وخلق عالم جديد بما فيه خلق الإنسان لذاته، إلا أنه عبر تطور الملكية الخاصة وتقسيم العمل يفقد العمل صفته كتعبير عن طاقات الإنسان ومشروعه، ويكون العمل (مغريًا) لكونه توقف عن أن يكون جزءًا من طبيعة العامل وبالتالي لا يحقق ذاته في عمله ويكون لديه شعورًا بالبؤس أكثر من شعوره ككائن طبيعي (معافى).. ففي العمل اللامغرب، لا يحقق الإنسان ذاته كفرد فقط، وإنما –أيضًا- ذاته ككائن نوعي ولذلك يرى ماركس أن انعتاق العمال يعني انعتاق الإنسانية ككل(١٦٨).

وذلك لأن العلاقات السلعية هي المنتشرة وتختزل البشر إلى السلع التي يمتلكونها مظهرًا كميًا متشيئًا يماثل وقائع العلم الطبيعي(١٦٩).

ولذلك يجد ماركس ثلاثة عيوب رئيسية للرأسمالية[١٧٠] أولاً عدم الأهلية inefficiency والاستغلال exploitation والاغتراب alienation وهي توضح الخطر القادم من الرأسمالية ومن هنا كانت هناك أسباب عديدة لإبطال الرأسمالية نهائيًا. وقد جعل الشيوعية تمحو الاغتراب abolish alienation حتى الماركسيين الجدد في المدرسة الفرانكفونية ناقشوا أسوأ ما في الرأسمالية، التي تجعل البشر يصِلُون لدرجة أنهم لا يعلمون أنهم مغتربون They are alienated ومن هنا تحاول الماركسية تحديد الفروق بين الحاجات العملية Actual needs والحاجات المُرْضِية (المُقْنِعة) Satisfied needs.

ويخضع الأفراد للأشياء في الرأسمالية[١٧١] وتصبح هذه الأشياء متحكّمة في الأفعال البشرية، وبذلك يصير الأفراد خُدّامًا لعالم السلع، ولقد صارت السلعة، على الرغم من إنتاجها بأيد بشرية، عبارة عن معبود أو وثن يتحكم في منتجه البشري والإنسان.

وقد تحدث ماركس عن الصبغة الوهمية التي تتصل بالسلع فقال: "تعتبر الصبغة الوهمية للسلع نتيجة للصبغة الاجتماعية للعمل الذي ينتج السلع، وأن العلاقات الاجتماعية الخاصة بين الناس هي التي تكتسب هنا الشكل الوهمي لعلاقة تقوم بين الأشياء.

لقد اكتسبت النقود سلطانًا على الإنسان وأخذت تتمتع – بالتالي- بطغيان مضارع طغيان إبليس.

وقد أكد هربرت ماركيوز[١٧٢] ذلك، حيث وجد أن العامل في ظل الرأسمالية يغترب حين يعجز عن الاهتداء إلى ذاته وإلى الهدف من عمله في ظل قوى لا شخصية مجهولة هي قوة (رأس المال) وتقلبات (السوق).

كما يؤكد Rogar[١٧٣] على وجود تناقضات اجتماعية Social contradicitions بين الرأسمالية والعمال (البروليتاريا)، وبينهم وبين العالم الثالث الذي يعتمد على استغلال هذه المجموعات من البشر. وقد عالجت الماركسية الأصيلة ذلك .. ومن هنا يحدث الاغتراب بين عمال العالم الأول وتكريس الرأسمالية لاستغلال العالم الثالث نتيجة طبيعية لذلك، يؤدي إلى ثورة العالم الثالث.. والأمل معقود على تحرر العالم الثلاث من خلال النشاط السياسي.

والسؤال ما هو حال الاغتراب في المجتمع الاشتراكي؟[١٧٤]

توجد في التجارب الاشتراكية بيروقراطية وفساد وقيود على الديمقراطية وحرية الرأي والتعبير ولكنه هذا كله كان يهون إزاء ما تقدمه هذه التجارب لنا من مساندات سياسية وعسكرية لقضايانا النضالية ومساعدات اقتصادية وثقافية لخططنا التنموية، وإزاء ما كانت تمثله في ضمائرنا وعقولنا من بديل اجتماعي إنساني تقدمي نبيل باهر خال من (الاستغلال والاغتراب) والأزمات في مواجهة عالم رأسمالي استعماري يحتل ويعتدي وسبب ما نحن فيه هو أننا اغتربنا عن الواقع بذات النظرية التي من المفروض أن تحررنا من الاغتراب لأننا ألغينا الواقع بالنظرية والمثال ولم نختبر النظرية المثال بالواقع.

إذن يمكن القول إن تجاوز الاغتراب[١٧٥] الكامل للإنسان المتحقق في البروليتاريا لا يتم إلا في مجتمع مشاعي، وهو أمر تصوره من قبل فيورباخ وهيس .. ولكن لدى ماركس البروليتاريا هي مبدعة فعل التحرر بالثورة الشيوعية.. الثورة الشيوعية عند ماركس هي التحرر من الاغتراب، لكن ليس الاغتراب الديني عند فيورباخ، وإنما الاغتراب السلعي كما حلله الاشتراكيون الفرنسيون، فالإلحاد لا يضع نهاية للاغتراب. إن الإنسان الحديث جعل نفسه فصاميًا يغترب لأنه يصنع السلطة بيديه، ثم يخر ساجدًا أمامها للحصول على أي نصيب منها.

وذلك لأن العامل – كما يقول ماركس في إحدى رسائله – (يصنع البندقية، فتؤخذ منه، ثم تديرها الشرطة إلى نحره). ولهذا الاغتراب أراد ماركس أن يضع حدًا.

ولذلك فإن الشيوعية[١٧٦] هي الإلغاء الإيجابي للملكية الخاصة للاغتراب الذاتي، وبالتالي فهي الامتلاك الواقعي للطبيعة الإنسانية بواسطة الإنسان ومن أجله، إنها عودة الإنسان بذاته، ككائن اجتماعي إنساني واقعي، إنها عودة واعية وكاملة تستوعب كل ثروة التطور السابق.

وذلك باختصار لأن مفهوم ماركس للاشتراكية[١٧٧] هو الانعتاق من الاغتراب، وعودة الإنسان لذاته وتحققها الفعلي.

وفي النهاية[١٧٨] ← فقد انتقد الاغتراب عند ماركس من قبل البعض فنجد القول بأن مفهوم ماركس عن الاغتراب، الذي يعتقد فيه أن الطبقة العاملة هي الطبقة الأكثر اغترابًا. ومن هنا فإن الانعتاق من الاغتراب يتطلب، بالضرورة، البدء بتحرير هذه الطبقة .. إلا أن ماركس لم يستطع التنبؤ بالدرجة التي سيصبح فيها الاغتراب هو قدر الغالبية الساحقة من الناس، وخصوصًا المجتمع الذي يتعامل مع الرموز والبشر أكثر من تعامله مع الآلات.

ب- الماركسية أخلاق نضالية

إذا كانت الماركسية ليست فلسفة، لكن هناك فلسفة ماركسية – كما يقول البعض – ولما كانت الماركسية تربط الفكر بالنضال فإن كثيرًا من المفكرين الماركسيين العظام هم مناضلون عظام أيضًا (ماركس – انجلز – لينين – ماوتسي تونج) وغيرهم. خاض هؤلاء (المناضلون المفكرون غمار معارك كثيرة شغلت جزءًا كبيرًا من كتاباتهم وتركت لهم على مهام النضال أو النقاش العاجلة، ولذلك لا توجد الفلسفة الماركسية في الكتب المخصصة لها فقط، بل نجدها –أيضًا- في طيّات الكتابات الأخرى التي قد لا تكون الفلسفة موضوعها الأساسي(١٧٩) ..

ولذلك نجد في أعوام ١٨٨٠- ١٨٩٠ (عهد نضال الماركسيين) ضد الشعبيين .. كانت البروليتاريا في روسيا أقلية ضئيلة بالنسبة إلى جماهير الفلاحين الفرديين الذين كانوا يؤلفون أكثرية السكان الكبرى، لكن البروليتاريا كانت تتطور من حيث هي طبقة، بينما كانت جماهير الفلاحين من حيث هي طبقة في انحلال، ونظرًا لأن البروليتاريا كانت تتطور من حيث هي طبقة، أسس الماركسيون عملهم عليها، وهم لم يخطئوا في ذلك، لأنه من المعلوم أن البروليتاريا التي لم تكن سوى قوة قليلة الأهمية أصبحت – فيما بعد – قوة تاريخية وسياسية من الدرجة الأولى(١٨٠).

إذن ما هو النضال الطبقي؟

إنه نضال قسم من الشعب ضد قسم آخر نضال جماهير المحرومين من الحقوق والمظلومين من الشغيلة ضد أصحاب الامتيازات والظالمين والطفيليين، نضال العمال الأجراء أو البروليتاريا ضد المالكين أو البرجوازية.

إن هذا (النضال الكبير) كان موجودًا دائمًا وما يزال موجودًا في الأرياف الروسية، فمنذ زمن بعيد كان الفلاحون يناضلون ضد ظالميهم، ضد طبقة المّلاكين العقاريين، الذين تحميهم حكومة القيصر، وتدافع عنهم ورغم ذلك كانوا (يناضلون)(١٨١).

ومن المعروف أن الاشتراكية الماركسية هي الاشتراكية العلمية- والإنسانية الماركسية هي الإنسانية العلمية النضالية، وهكذا لا غنى للجانب الإنساني للفلسفة الماركسية عن جانبها العلمي ولا عن (النضال الإنساني)(١٨٢).

لماذا يناضل الاشتراكيون الديمقراطيون؟

في سبيل تحرير الشعب العامل بأسْره من كل نهب، وكل ظلم وكل تعسف، ولكي تتحرر الطبقة العاملة يتعين عليها، قبل كل شيء، أن تتحد، ولهذا الغرض ينبغي أن تتوافر لها حرية التجمع. وحق التجمع ينبغي أن تتوافر له (الحرية السياسية) .. إن الحزب الاشتراكي الديمقراطي يأخذ على نفسه مهمة مساندة جميع العمال في (نضالهم) من أجل حياة أفضل(١٨٣).

ولذلك نجد أن العمال هم الأهم في الاهتمام بالنضال لأن العمال – في نظر ماركس – إذا ما أدركوا حتمية ثورتهم، فإنهم، بدافع من مصالحهم وظروف حياتهم، لابد أن يتولّوا مهمة تحقيق الاشتراكية .. وتتخذ طبيعة النضال الثوري المنطلق إلى الأمام نحو تحريرهم الكامل وحريتهم الاقتصادية والمساواة بين الجميع.

إن البروليتاريا، في أنحاء العالم، يعتبرون أخوة لهم نفس المصالح ويتعرّضون لنفس الآلام إذن يجب أن يتضامنوا بغض النظر عن القومية أو العقيدة وإلا سيستمرون في حالة الحرمان والبؤس(١٨٤).

ومن المعروف أن العمل المأجور والرأسمال له علاقة وطيدة بالنضال الطبقي.. وذلك من خلال مجرى التاريخ، وعلى ضوء المادة التاريخية القائمة والمتجددة يومًا، وكانت هزيمة الطبقة العاملة التي قامت بثورتي (فبراير ومارس ٢٣-٢٤ فبراير ١٨٤٨ في باريس، و١٣ مارس في فيينا، ١٨ مارس في برلين كانت هزيمة أيضًا للجمهوريين البرجوازيين في فرنسا والطبقات البرجوازية والفلاحية المناضلة ضد الحكم المطلق الإقطاعي في القارة الأوربية كلها(١٨٥).

ولذلك نجد في مقدمة بيان الحزب الشيوعي، يشير مؤسسا الماركسية إلى ذلك الدور الجديد، الذي أخذت روسيا تلعبه في النضال التحريري، وتمثل روسيا الفضيلة الطليعية للحركة الثورية في أوروبا)(١٨٦).

ولذلك ظهر برنامج حزب العمال الاشتراكي – الديمقراطي الروس كما عرضته جريدة الإيسكرا ومجلة زاريا في النضال.

والإيسكرا (الشرارة) أول جريدة ماركسية، غير شرعية، لعموم روسيا أسسها لينين ديسمبر ١٩٠٠ في الخارج من حيث كانت ترسل سرًا إلى روسيا وزاريا (الفجر) مجلة ماركسية سياسية علمية أصدرتها إدارة الإيسكرا في سنتي ١٩٠١ – ١٩٠٢ بشتو تغارت(١٨٧).

والسؤال ما هو واقع العلاقة بين النضال والأخلاق والسياسة؟

تدل التجربة التاريخية أن البلدان النامية لا تستطيع إذا ما اتبعت الطريق الرأسمالي أن تسارع تقدمها المادي والثقافي والروحي وفق خصوصيتها ولا تأمين حريتها واستقلالها الوطني.. إن هذه الظروف والمتطلبات التاريخية تدفعها – بصورة موضوعية نحو [الاشتراكية].

والنضال ← من أجل التطور السياسي والاقتصادي للشعوب من أجل استقلالها والمساواة من أجل حقّها في التصرف بمواردها الوطنية، ومن أجل توزيع جديد لوسائل الإنتاج .. وهذا النضال يتجاوز إطار مصالح الدول النامية وتضامنها إنه يغدو شرطًا لتقدم الإنسانية(١٨٨).

وإن هذه المسائل يجب أن توضع في إطار استراتيجية الحركة العمالية والقوى الديمقراطية في هذه الدول .. إذن التقدم نحو الاشتراكية يعقد العلاقة بين التحرر الوطني والنضال من أجل التقدم الاجتماعي الطبقي(١٨٩).

إن النضال مستمر – كما يقول لينين – وواجبنا أن نخضع جميع المصالح لهذا النضال، ولهذه المهمة نخضع كل أخلاقنا الشيوعية – ونحن نقول: الأخلاق هي ما يتيح هدم مجتمع المستثمرين القديمة وتوحيد جميع الشغيلة حول البروليتاريا التي تنشأ المجتمع الجديد الشيوعي إن (الأخلاق الشيوعية) إنما هي الأخلاق التي تخدم هذا (النضال) وتوحد الشغيلة ضد كل استثمار ضد كل ملكية صغيرة(١٩٠).

ويمضي لينين في تحديد (منازل النضال) وبين ما يشبه أن يكون، في نظره الانتقال من جهاد أصغر إلى جهاد أعظم. ومن واجب البروليتاريا أن تعيد تربية وتثقيف قسم من الفلاحين العمال لتقضي على مقاومة الفلاحين الموسرين الذين يثرون من بؤس الآخر. هذا هو هدف النضال الطبقي ويجب أن نخضع المصالح جميعًا لهذا النضال وتخضع (أخلاقنا الشيوعية) لرسالته(١٩١).

وهذا أيضًا ما حاوله الفن (من الواقعية الاشتراكية) فهو الانعكاس الفني للنضال من أجل انتصار الثورة الاشتراكية.

فليس صدفة أن هذا(١٩٢) الفن تكون وتوطد في البلد الذي أنهى قبل غيره العبودية الرأسمالية. وبدأ بناء مجتمع شيوعي لا طبقي – لقد تطورت الواقعية الاشتراكية في (روسيا) كطريقة في المرحلة الثالثة – المرحلة البروليتارية في حركة التحرر الروسية على أساس ارتباط الفن التقدمي الوثيق (بالنضال الثوري) للطبقة العاملة.

وكان الكاتب البروليتاري العظيم (جوركي) أول من أعطى، في تاريخ الأدب العالمي صورة ذات فنية عالية للعامل الروسي الذي يشن تحت قيادة حزب ماركسي لينيني نضالاً منظمًا واعيًا ضد القيصرية والرأسمالية.

وأخيرًا هل نضال الطبقات يجعلنا ماركسيين؟(١٩٣)

كتب لينين يقول: من يعترف فقط بنضال الطبقات لم يصبح بعد ماركسيًا، إذن يمكن أن يكون لم يخرج بعد من نطاق التفكير البرجوازي والسياسة البرجوازية، **ولهذا فإن قصر الماركسية على عقيدة نضال الطبقات تشويه لها**، وجعلها مقبولة من البرجوازية، والماركسي هو الذي يعترف بنضال الطبقات، كما يعترف بدكتاتورية البروليتاريا.. كما كتب أن السبب الأساسي لعدم فهم الاشتراكية الدكتاتورية البروليتاريا هو أنهم يذهبون حتى النهاية – مع فكرة النضال الطبقي، وقد أثار لينين ذلك في كتاباته (حول ديكتاتورية البروليتاريا)في (الدولة والثورة).

تعقيب ← هذا الرأي الذي أبداه لينين في منتهى الأهمية لأنه يؤكد لدينا مدى الحياد الماركسي ونزاهة الفكرة، فهو مع البروليتاريا في حالة وقوع الظلم والقهر عليها إنسانيًا – اجتماعيًا – اقتصاديًا ... أما حين تتحول البروليتاريا إلى ديكتاتورية متسلطة يسقط عنها القناع وتزيح كل ما أمامها من أجل بقائها في السلطة هنا فقط تسقط البروليتاريا التي لم تستطع أن تحافظ على مكانتها ومكتسباتها إلا بالعنف والتسلط. هنا تسقط الماركسية في نظر لينين – في هذه الحالة فقط.

ولكن، في النهاية، ورغم كل المزايا والعيوب في النضال الطبقي(١٩٤).
إلا أنه يعبر تعبيرا صادقًا عن عبقرية ماركس، لأنه كان أول من استخلص هذا الاستنتاج، الذي ينطوي عليه التاريخ العالمي بصورة منسجمة إلى النهاية وهذا الاستنتاج هو مذهب النضال الطبقي Doctrine of struggle class وهذه الطبقة كان ينبغي عليها بحكم وضعها الاجتماعي أن تغدو القوة القادرة على تكنيس القديم وخلق الجديد ثم أن تثقف هذه القوى وتنظمها للنضال، حيث تتحرر من أوهام المجتمع البرجوازي وتتعلم كيف تقدر نجاحها.

(ويمكن الرجوع، في ذلك، إلى مسودة قرار عن الثقافة البروليتارية، وعلاقتها بالنضال البروليتاري حتى في عهد ديكتاتوريتها).

٣- قيم الأخلاق بين المجتمع الرأسمالي والاشتراكي

أ- قيم الأخلاق في المجتمع الرأسمالي

إذا كان النظام الرأسمالي[١٩٥] يمثل مرحلة أكثر تقدمًا من النظام القبلي والإقطاعي، فهو لا يسمح بالتعادي بين أفراد الأمة الواحدة، ويلزمهم جميعًا بالخضوع للقانون لكنه مع ذلك يجيز أن تعتدي أمة قوية على أخرى ضعيفة فتسلبها مصادر ثرواتها الطبيعية، وهو يبرر هذا الاعتداء باسم التعمير، والاستعمار بحجة أن الأمة المطلوبة لا تحسن استغلال مصادرها.

تعقيب ← الرأسمالية، وإن حرّمتْ السرقة والاعتداء السافر من الفرد على الفرد في داخل الدولة، وأخضعتهم للقانون، فقد صنع هذا القانون صياغة تعطي بعض الأفراد امتيازات وحقوقًا لا يتمتع بها الآخرون، والذين يفوزون بهذه الامتيازات والحقوق، في هذا النظام، هم الأفراد الذين يبدون حرصًا زائدًا على تجميع المال لأنفسهم (ومن منطلق قانوني).

إن تغير علاقات الإنتاج الإقطاعية[١٩٦] إلى رأسمالية يؤدي إلى إعادة تركيب البناء الفوقي وتزول الحواجز الاجتماعية والإقطاعية، وترفع البرجوازية شعار المساواة للجميع أمام القانون ويتبدل نظام الحكم المطلق بنظام حكم دستوري برجوازي أو جمهوري ديمقراطي برجوازي برلماني. إن الديمقراطية البرجوازية ترفع شعار (الفردية) وتصوره كحرية تامة للفرد وفي المجتمع الطبقي حملت (الأخلاق طابعًا طبقيًا).

إن النظام الاقتصادي[١٩٧] –إذن- هو موضع تجريح من الناحية الأخلاقية، ولكنه، مع هذا الفشل في إظهار كيف يمكن القضاء على مساوئه بالتّخلّص من الرأسمالية، ولكنه كان حريصًا على ألا يلقى عليهم المسئولية الكبرى في الشر الأساسي، وإنما ألقى اللوم على جميع أعضاء المجتمع – كما يرى المؤلف – لأن الرأسمالية، كالعمال الذين يستغلونهم، أسرى نظام ما، وعليهم أن يعملوا وفقًا قوانين هذا النظام وهي ليست قوانين (الأنانية – البشرية) وإنما قوانين تتحكم في تطور القوى الإنتاجية.

وهكذا تحولت الرأسمالية إلى قوة رجعية[١٩٨] لا تستهدف سوى المحافظة على مصالحها التي تزداد توسعًا وانتشارًا، هذا التحول يمثل، في حد ذاته وجهًا سلبيًا في النظام الرأسمالي، وذلك لأنه يدل على أن النظام لم يكن تقدميًا إلا في مرحلته المبكرة. وأن من شأن هذا النظام أن يتحول إلى الرجعية بمجرد أن تتحدد معالمه وتكتمل.

١-إن أول هذه الجوانب هو (اللاأخلاقية) فقد ولدت الرأسمالية مذاهبها الأخلاقية الخاصة في مذهب المنفعة utilitarianism والبرجماتية Pragmatism في الولايات المتحدة.. وأن كلا المذهبين الأخلاقيين إنما كانا تعبيرًا عن الطابع العملي لعصر التصنيع.

٢- كانت هناك نقطة ضعف كبرى للنظام الرأسمالي هي ارتباطه الوثيق بالحرب والرأسمالية بما تثيره من حروب لا تنقطع، تهدد بالقضاء على ما أنجزته هي ذاتها، وكذلك الحضارات السابقة من تقدم مما أدى إلى انتشار (اليأس والتشاؤم).

٣-إذا كانت الحروب انحرافًا شاملاً في السلوك على المستوى الدولي، فإن المرحلة الرأسمالية قد شهدت أنواعًا أخرى من الانحرافات على المستويات المحلية أهمها (الإجرام).

وفي المجتمع الرأسمالي[١٩٩] نرى كيف هبط مستوى الأخلاق إلى مستوى الحيوانية، بعد أن صارت القيم الأخلاقية قيمًا تجارية، فكل ما يحقق الربح أصبح مشروعًا ومقبولاً وعلى المستوى الاجتماعي انتشرت الآفات الاجتماعية كانتشار المخدرات والعنف والدعارة بتشجيع رأس المال .. أما المجال الثقافي، فقد تحولت القيم الثقافية إلى قيم تجارية وهبوط مستوى الفن إلى أسوأ مستوياته.

ولذلك فإن سيطرة الرأسمالية[٢٠٠] واستغلال الإنسان تعتبر الحاجة كخسيسة تعتبرها عالية مشتركة وحاجات الإنسان الأولية معتبرة كشيء منحط، حيواني والملكية الخاصة لا تعرف أن تصنع من الحاجة الأولية حاجة إنسانية إلى "كل حاجة واقعية أو مفترضة هي ضعف سيوقع الضحية في فخه. أي فخ الملكية الخاصة".

وهذا – بالطبع- يفسح المجال لاستغلال عام للطبيعة البشرية في مجملها: إنهم يستخدمون حاجات الإنسان لاستعباده.

وفي العالم لا يوجد توازن[٢٠١] في المبدأ نفسه ليس من زاوية الأساس الشرعي (القانوني) ولا النتائج الحقيقية. وهذا ما نلاحظه في الحركة الاقتصادية مثل القوى الاجتماعية. وهذا يؤدي بدوره إلى استمرار التغير والثورة إنها الأسباب المادية للسلوك بل والمادية العميقة.

والسؤال الآن ما هو موقع القيم في النظام الرأسمالي؟

(١) قيم المساواة والعدالة[٢٠٢]

لقد وصف ماركس ظلم الرأسمالية بقوله (إن العامل لا يملك لحياته شيئًا (سوى أُقيْماتٍ جافة وملابس بالية وكوخ مظلم) وظلَّ يجمع قصص ظلم الرأسمالية في كتابه (الرأسمال)، ووصف أحد المفكرين الاشتراكيين هذا الجزء من عمل ماركس بقوله (إن أفضل أجزاء كتاب "الرأسمال" هي تلك التي تناقش الوقائع الاقتصادية، التي كان ماركس يعرفها معرفة موسوعية".

(٢) قيم السعادة[٢٠٣]

في النظام الرأسمالي تغيب السعادة وتحل محلها الأمراض والمعاناة ills and Suffering، وذلك من خلال تحليل ماركس لاقتصاد الرأسماليين، وبالتالي يوضع الفقر في مقابل الغنى، أو بمعنى آخر الدول الفقيرة والدول الغنية .. وخاصة فيما يتعلق بالاقتصاد السياسي والعلمي ..

ولكن من المؤكد أن الوعي الجماهيري[٢٠٤]، الواقف عند سطح الظواهر، امتص وتمثل فكرة أن الاستغلال وعدم المساواة وعدم العدالة في العلاقات بين الأفراد والطبقات مستحيلة، وخاصة في ظل قوانين التبادل المتكافئ تبعًا لقواعد السوق.

ومن هنا كانت الماركسية[٢٠٥] منذ نشأتها، وفي كل معاركها حاولت أن تكون أعلى درجة من الوعي الممكن للطبقة العاملة على النطاق العالمي، وتلك الطبقة توجد في تناحر مع الرأسمالية وتطرح قضية الوصول بتناقضات النظام الرأسمالي إلى منتهاها وبالتالي إلى نظام جديد.

ومن هنا كان تحليل ماركس[٢٠٦]، لتطور الرأسمالي كله، صحيحًا، ولكن داخل حدود المرحلة التاريخية الواحدة، وداخل أشكال الصراع الطبقي، وذلك من خلال تصورين هما:

١- تأييد المتحول (المتغير) Transformative maintenance.
٢- إزاحة الصراع الطبقي Displacement of class struggle.

ومما لا شك فيه أن كل جملة تقال في تطور الرأسمالية[٢٠٧] وعمل صراع الطبقات تعطي الأساس في أشكالها الخاصة والجزئية من خلال الوعي الاجتماعي، وفي تحققها الأيديولوجي أنه يضع إيضاحًا (صورة توضيحية) illustratism للديالكتيك الاجتماعي، وهي الحقيقة التي قدمتها مبكرًا الرأسمالية حينما جاء دور التقدم للبرجوازية التي عالجت الفلسفات من منظور مادي في إطار (الأيديولوجيا والصراع الطبقي تحت الإمبريالية) Ideology and The class struggle under imperialism.

نظرة ماركسية حول نهاية الرأسمالية

يرى بوليتزيد: أن الاعتقاد الخاطئ بأن نهاية الرأسمالية هي نهاية التناقض ينتج عن خلط بين التطاحن Antagonism والتناقض contradiction فالتطاحن ليس سوى حالة خاصة أو لحظة من لحظات التناقض، فكل تطاحن هو تناقض، ولكن ليس كل تناقض تطاحنًا[٢٠٨].

ولكن الحقيقة أن ماركس يؤيد موت الرأسمالية .. إن أول ما تنتجه البرجوازية هو (حفارو قبرها) وهذا ما جاء به ماركس في (الأيديولوجية الألمانية)[٢٠٩].

والسؤال هل زوال الرأسمالية يؤكد المهام الثورية وعلم أخلاق؟

إن هذه النظرية تقود إلى تأكيد مهام ثورية وعلم حقيقي للأخلاق، أو أنها تفترض بالعكس سياسة الترقي في تأكد تطور ضروري دماريّ ونافع في آن واحد[٢١٠].

-في الحقيقة – وكما يرى ماركس – أن زوال الاستغلال الرأسمالي زوال الاسترقاق السياسي، زوال الوهم الأيديولوجي، والبؤس الديني[٢١١].

ب- قيم الأخلاق في المجتمع الاشتراكي

كيف تكون الاشتراكية نزعة إنسانية؟

يؤكد د. فؤاد زكريا[٢١٢] أن الاشتراكية نزعة إنسانية ويبدو ذلك من القضاء على النظام الرأسمالي الذي يجعل الإنسان عبدًا لنفس القوى التي خلقها بيديه، فالاشتراكية تدعو الإنسان إلى السيطرة – مرة أخرى – على القوى التي أصبحت مسيطرة عليه، خارجة عن إرادته، وهي تطالب بإعادة هذه القوى مرة أخرى إلى الإنسان بدلاً من تبديدها.

وعلى هذا الأساس تكون الاشتراكية نزعة إنسانية، وهدفها أن تستعيد الإنسان المتكامل الذي يجمع كل ما فرقته الرأسمالية من شتات، ويعيد صحتها إلى ذاته.

ومع تطور المجتمع الاشتراكي[٢١٣] ينتقل الإنسان من مملكة الضرورة إلى مملكة الحرية، ومن مملكة الحيوانية إلى مملكة الإنسان الحقيقي، إن إمكانية تزويد كل فرد من أفراد المجتمع، بفضل الإنتاج المشترك بوجود ليس هو ممتلئًا

ماديًا فحسب، وصائرًا أكثر امتلاءً يومًا بعد يوم، بل بوجود يضمن للجميع التطور الحر والممارسة الطليقة لإمكانيّاتهم الذهنية.

وهنا لابد من الاهتمام بالاشتراكي[٢١٤] وعلاقة بالحركة النسائية Feminism وسياسة الاختلاف politics of difference وللاشتراكية دورٌ في الحركة النسائية، وخاصة بعد الحرب في تدعيم المرأة والحقوق المدنية civil rights مما ينعكس على الإصلاح السياسي وإطار العدالة الاجتماعية.

إذن ما هي الاشتراكية الأخلاقية؟[٢١٥]

هي النقطة الأفضل للحياة السعيدة والرفاهية الشاملة. وليس الاشتراكية من مواليد هذا العصر، الاشتراكية وجدت مع وجود الإنسان، حيث كان البشر يتعايشون ويتقاسمون موارد الأرض. وعندما أخذت الموارد في الازدياد بدأ التقاسم يتحول إلى نظام (اللاتساوي) تبعًا لزيادة الموارد ونقصانها في أرض ثابتة وتبعًا أيضًا لغريزة حب البقاء في الإنسان.

إن انقلاب أسس المجتمع الرأسمالي إلى بديله الاشتراكي[٢١٦] يقتضي نضالاً، لذلك فإنه لابد من التحلّي بحد أعلى من المبدئية والتنظيم والتعاون والصمود. وصفات خلقية عالية من الشجاعة والإيثار والأخلاص للوطن والجماهير والحب للعدالة والشرف.

إن قضية بناء الاشتراكية ليست قضية أفراد معينين وإنما قضية الملايين من الجماهير، التي يلعب (العامل الخلقي) في نضالها دورًا هامًا، وأن النضال من أجل انتصار الاشتراكية يولد (نهضة خلقية) ويربي الجماهير الواسعة على أخلاق لا تعرف الظلم والأنانية والميوعة والانغلاقات المذهبية.

وليست الاشتراكية[٢١٧] مدينة تقنية، تتلهف للقيام بأعمال مادية رائعة دون أن تعبأ بالإنسان، كما يدعي المفكرون البرجوازيون، ذلك لأن الإنسان، في تمام تفتحه، هو مركز الاشتراكية، وليس لجمع الأعمال المادية من هدف سوى سد حاجاته على أفضل وجه: كحاجته إلى المعرفة والثقافة وحاجاته إلى العيش الكريمة أي بوجود العناصر المختلفة لحياة سعيدة، فالاشتراكية هي تحقيق النزعة الإنسانية.

إن الأهداف الإنسانية النبيلة[٢١٨] من إلغاء لاستغلال الإنسان للإنسان والقضاء على الاغتراب وتحقيق أرقى أسباب الحرية والمعرفة والوفرة للفرد والمجتمع. إن هذه الأهداف التي يحملها (المشروع الاشتراكي) هي أهداف مفتقدة في المشروع الليبرالي، بل أهداف مقموعة في ظل المشروع.

ومن هنا يمكن القول أن النيات الطيبة[٢١٩] لا تثمر في عالم ينوء بالأنانية والطمع وحب المال، ولابد أن تحكم المجتمع حدود وتنظيمات تكفل الحق للجميع، فكانت (الاشتراكية العلمية) تقنينًا لعمليتي الإنتاج والتوزيع لتحقيق رفاهية البشر. فقد كان ماركس وانجلز من المبشرين بهما ويقومان بدورهما في تطوير الاشتراكية ولكنهما – كما يقول بول سويزي – قد اعتليا مسرح التاريخ في الوقت المناسب. وكان الجدل بين الناس يفضل الاشتراكيين الخياليين.

وأن هذا التفكير الخيالي[٢٢٠] لم يكن جديدًا، ولم يكن فجأة ولعله كان مرحلة أساسية لابد للفكر أن يجتازها قبل أن تنشأ الاشتراكية العلمية على يد ماركس وانجلز، وقبل أن تختطَّ الاشتراكية الفابية وحركة حزب العمال البريطاني منهاجًا واضحًا للاشتراكية البريطانية وأما أنها ليست جديدة فقد سبقتها أحلام (توماس مور ١٥١٦) في اليوتوبيا وحركة العراقيين بزعامة جيرارد وينستانلي) في إنجلترا وآراء (يابيوف) التي انتهت به إلى المقصلة في الثورة الفرنسية.

إذن فالأمر يعود، برمته، إلى الإيمان بكرامة الإنسان وبعالم تسوده الحرية والمساواة فالحافز الذي يحرك هؤلاء هو خير الإنسان بقدر ما أتيحت لهم رؤيته كان في زمنه.

فقد كان ومازال الاشتراكيون[٢٢١] يرفضون الأساس الذي يقيم عليه الرأسماليون نظامهم وهو تأسيس النشاط على حافز واحد هو حافز الربح الشخصي، ويريد الاشتراكيون أن يؤسسوا النشاط الإنساني على حوافز اخرى مختلفة تمامًا يرونها أكثر غيرية، لأنها تنظر إلى مصلحة الأمة كلها دون تفضيل طبقة على طبقة أخرى وتخطط لذلك تخطيطًا علميًا.

وقد تناول الأدب هذا المفهوم الجاد للاشتراكية .. رأى جوركي[٢٢٢] أن أن بناء مجتمع اشتراكي، لا يمكن أن يتحقق إلا عن طريق شاعرية العمل المتحرر والابتكار الجماعي كثقافة جديدة، ففي الاتحاد السوفيتي توحدت إرادة الجموع العاملة لتكافح قوى الطبيعة الأولى وفطرة الناس الموروثة، التي ليست في حقيقتها سوى فوضوية الفرد الغريزية، ومصدر الجمال في فلسفة جوركي الجمالية، ليست الطبيعة وليس الله والعالم الآخر لكنه الإنسان ونشاطه الخلاق الذي غير العالم وفقًا لقوانين الجمال، كما أن تحرير العمل ونشاط الجماهير العاملة هي عند جوركي العنصران الأساسيان اللازمان لازدهار الثقافة والفن والإبداع.

والسؤال هي يتطلب ذلك نوعًا من التربية الشيوعية؟[٢٢٣]

إن التربية الشيوعية من أهم جوانب تشكيل المجتمع خلال تحوله من الرأسمالية إلى الشيوعية، فلا يمكن بناء الاشتراكية والشيوعية دون تحول في وعي الناس ومواقفهم الفعلية وأخلاقياتهم. إن شق طريق جديد للحياة والمشاركة في البناء الاشتراكي والشيوعي عنصران جوهريان في التربية الشيوعية، وتكفل الممارسة الفعلية للبناء الشيوعي أفضل مدرسة للتربية الشيوعية..

وليست التربية الشيوعية مجرد عملية ذاتية تخضع للعوامل الموضوعية وحدها، إنما هي تتطلب تدريبًا بالحياة اليومية من أجل خير المجتمع. والجانب الرئيسي في التربية الشيوعية هو خلق موقف شيوعي تجاه العمل إذ يصبح العمل بالنسبة لإنسان تمرس بروح الشيوعية ضرورة أولية للحياة، وتصبح الفضائل الأخلاقية العليا ملامح دائمة لشخصه وسلوكه، وأحد الأهداف العامة للتربية الشيوعية تشكيل نظرة علمية عامة للعالم.

وتتضمن التربية الشيوعية نضالاً منظمًا ضد بقايا الرأسمالية في وعي الإنسان وخلق إحساس مرهف بالجمال.

والشيوعيون[٢٢٤] يعرفون –أيضًا- أن الضمير مرتبط بمعرفة الطريقة الكلية لحياة إنسان ما. فالجمهوري له ضمير مختلف عن الملكي، والمفكر له ضمير مختلف عمن لا فكر له، ووفق ما يراه ماركس وانجلز فإن ما ينطبق على الضمير ينطبق على كل الأفكار والتصورات الإنسانية (البيان الشيوعي – المؤلفات المختارة – المجلد الأول)

ومن هنا تأتي قيمة حوافز العمل الأخلاقي[٢٢٥] Moral Stimulito labour وعلاقته بالشيوعية فالنفس الداخلية العميقة، التي تحفز الإنسان على أن يعمل، والتي تنشأ من إحساسه بالمعتقدات الأخلاقية الأيديولوجية والسياسية والعلمية هي الحافز غير الأناني لدى الإنسان على أن يعمل من أجل فكرة ما وحوافر العمل الأخلاقية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالمصلحة المادية في العمل التي تلعب دورًا كبيرًا في المرحلة الأولى للشيوعية.

القيم الأساسية في الاشتراكية

إن العدل والظلم مفهومان أخلاقيان يعبران عن مناقب أخلاقية متعددة للظواهر الاجتماعية، وتربط الماركسية بين مفهوم العدل وفكرة تحرير المجتمع من الاستغلال والاشتراكية، (وحدها)، هي التي تخلق علاقات عادلة أصيلة من المساواة والصداقة الأخوية والتعاون بين الناس، ويبلغ العدل الاجتماعي ذروته

في (المجتمع الشيوعي) الذي تختفي فيه كل آثار الفرد من الاجتماعية والاقتصادية[٢٢٦].

وقد ذكر ماركس في كتابه (رأس المال)[٢٢٧] قصة الفتاة التي تدعى (ماري آن واكلي) التي تعمل في مصنع للملابس النسائية، والتي استغلتها صاحبة المصنع (إيليزيه) وكانت هذه الفتاة تعمل ستة وعشرين ساعة ونصف متواصلة، وفي أجواء غير صحية حتى أصيبت بالمرض. وقال الطبيب عنها أنها ماتت من جراء العمل الزائد في حجرة مكتظة بالناس.

وكان الغرض من عرض هذه الوقائع المروعة أن يثير ماركس الكراهية في نفوس أتباعه ضد الرأسمالية، وأن يعدهم لخوض أكثر الحروب المروعة في التاريخ وهي (الحرب الطبقية).

وهناك قيمة أخرى هامة في نظر الشيوعية[٢٢٨] وهي أن الأخلاق، في نظر الشيوعية، تتمثل -كلّها- في نظام التضامن System of Solidarity المتسق ونضال الجماهير نضالاً داعيًا ضد المستغلين، ونحن لا نؤمن بالأخلاق السرمدية، ونفضح القصص الكاذبة الملفقة في موضوع الأخلاق، ونرى أن الأخلاق تصلح للرقي بالمجتمع الإنساني إلى أعلى والنهوض به للتحرر من استغلال العمل.

وفي النهاية يمكن القول، وكما جاء على لسان (سيدني هوك)[٢٢٩].

(ليست الشيوعية معدة بطبيعة الأمور، لأن تتحقق إلا أنه إذا كان لابد للمجتمع من الاستمرار فالشيوعية تقدم الطريق الوحيد للخروج من المأزق الذي سببه قصور الرأسمالية من تزويد إجرائها بوجود اجتماعي لائق، وما يؤكده ماركس في الواقع هو: إما هذه الشيوعية، وإما تلك البربرية).

٤- مستويات الماركسية بين الحرية والنسبية

مستوى الحرية

إن الحرية المطلقة[٢٣٠] لا توجد إلا في عالم الحيوانات البرية غير الأليفة. الحيوان البري يتمتع بمطلق الحريات يأكل ويشرب حتى أنه يشرب دم رفيقه، يفترس دون أن يخشى لومًا حرية مطلقة إلى أبعد الحدود .. والإنسان الابتدائي –أيضًا- كان يتمتع بحرية مطلقة لا وازع ولا رادع، لأن الإنسان البدائي لم يكن يتعرف إلى المجتمع كمجتمع لم يتقيد بواجبات، إنه كان أقرب إلى الحيوانية منه إلى الإنسانية.

غير أن مفهوم الحرية تطور مع تطور الإنسان والمجتمع وأصبح يشمل الحقوق والواجبات التي تفرضها عليه، لكي تكون الحرية قيمًا حتى يسمو عن الفصائل الحيوانية والإنسانية البدائية. ولو كانت الحرية لا تخضع لشرط أو قيد لما قامت الحكومات ووضعت الأنظمة.

وقد أنكر هيجل[٢٣١] أن يكون الإنسان حرًا بطبعه وأنكر أن تكون الدولة هي التي تحد من حريته وأنكر –كذلك- قدرة الإنسان على تجاوز حدود واقعه وقدرته على تصور ما يتعلق بمستقبله. وقال: إن الفيلسوف لا ينبغي له ولا هو يستطيع أن يتجاوز في الفكر واقعه الذي هو أقصى ما يمكن أن يدركه.

أما فيورباخ فيقول[٢٣٢]: (إن من واجب العصور الحديثة هو تحقيق وتجسيد الله وقلب علم الله إلى علم الإنسان).

"أما هدف الفلاسفة الكلاسيكيين المحافظة على حرية الله المطلقة مع الاعتراف بوعي الحرية عند الإنسان".

أما اسبينوزا ففي كتابه (أفكار ميتافيزيقية) يقول "اما فيما يتعلق بالإرادة الإنسانية التي قلت أنها حرة فتلك الحرية لا تستمر في الكون إلا بعون الله ولا يوجد بشر يريد أن يفعل إلا ما قدره الله منذ الأزل".

أما ماركس[٢٣٣] فيكتب عن الأخلاقية وحرية الإرادة المطلقة غير المقيدة. إن الحرية تميز الإنسان والسيد الممكن على بيئة الممكن على بيئة عن الحيوان العبد بالضرورة. وهكذا يرفض ماركس – باختصار – في الملاحظات البدائية لرسالته في الدكتوراه تناول بلوتارخ للخوف.

"في الخوف، الخوف الذي لا تمايز فيه، يعامل الإنسان كحيوان، ثم في الحيوان لا يهم –إطلاقًا- كيف يظل مقيدًا" فإذا لم يجعل الفيلسوف العار الأكبر النظر إلى الإنسان على أنه حيوان، إذن فلن يقدر له أن يفهم شيئًا على الإطلاق.

إذن عند ماركس الحرية[٢٣٤] ← هي ماهية الإنسان بشكل تام حتى أن خصومها يجعلونها واقعية حتى وهم يكافحون ضدها فلا يوجد إنسان يقاتل ضد الحرية، على الأقصى أنه يقاتل ضد حرية الآخرين (في مناقشة لحرية الصحافة)، وإذا كان إيمان ماركس بالحرية مختلطًا بالفلسفة الهيجلية والجو الثقافي، فإن هذا الإيمان يتقوى، بشكل كبير، من طبيعته الممتازة اهتمامه النيتشوي بالكرامة التي يراها في الاستقلال والتَسيُّد على الأشياء.

وينفجر هذا الجهد وسط المثالية العليا لمقالته "تأملات شاب في اختياره رسالة حياته".

ومن هنا كان هدف ماركس[٢٣٥] متمثلا في الانعتاق الروحي للإنسان وتحريره من قيود الحتمية الاقتصادية لإعادة بنائه في كليته الإنسانية ولتمكينه من إيجاد الوحدة والتوافق مع البشر والطبيعة.. وأن أغلب الناس محكومة بعامل الرغبة في الكشف المادي، كما أنهم وصلوا إلى درجة الامتثال الذي استطاع امتصاص فرديتهم إنهم، حسب مصطلح ماركس، (بشر سلعيون) عاجزون وواقعون تحت سيطرة آلات مكتملة الرجولة.

ومن هنا فإن الفكر البشري مدين للماركسية[٢٣٦] بمثال جديد مثال الحرية المجسدة الواقعية. وقد سلم أعداء الماركسية أنفسهم بعظمة هذا المثال، وهم مفكرون فقط، إمكانية تحققه فالماركسية تعتبر نفسها من الوجهة الفلسفية أكمل تحرير تبينه الفكر البشري والحياة الاجتماعية، فهو أكثر عمقًا من التحرر الذي حققه الفلاسفة الفرنسيون في القرن (١٨) وأكثر جذرية من التحرر الذي حققه الفلاسفة الألمان (كانط وهيجل).

ولذلك ركّز الفلاسفة الماركسيون[٢٣٧] انتقادهم على جميع الظاهرات التي تفرض – على الحياة الإنسانية كالدين – الأخلاق – الأفكار الشرعية والسياسية.

كما يرى الماركسيون باستحالة تحقق العدل والحرية تحققًا تجسيدًا واقعيًا بمحض فاعلية فكرتي: العدل، والحرية، ولم يكن أمام أعدائها إلا انتقاد تماديها في طريق الحرية وتطرفها في فهمها.

كما يربط ماركس بين الاستغلال والحرية والقوة[٢٣٨] exploitation, Freedom, and Force فيتحدث عن العبيد وتحكم رأس المال والرأسمالية فيهم على اعتبار أنهم القوة العاملة المسخرة لهم ويتحدث عن أصل الاستغلال الرأسمالي (الاستغلال الاقتصادي). ومن هنا يأتي تأثير عمل[٢٣٩] الإنسان وعلاقته بالإرادة الإنسانية والنمو الاجتماعي ويبدو ذلك في معرفة الناس الصحيحة لضرورات الإنتاج الموضوعية ولقانون الترابط الضرروي وخاصة في العلاقة بين مقياس العمل[٢٤٠] والوقت وعلاقته بالحرية حيث يرى البعض أن الوقت المبذول يمكن ألا يكون مقياسًا للعمل.

ومن هنا يأتي المقصد الحقيقي من الحرية[٢٤١] أي الإرادي والاختياري Voluntary، الذي ينتج للإنسان كل رغباته وما يأمل فيه ويختاره وعندما يكون

في سن مسئول responsible age وفي حالة تملكه لمشاعره ويستطيع أن يميز بين امتلاك القوة أو ما هو ضد إرادة الآخر.. إذن هنا – فقط – تكون الإجابة عند الماركسية إنها تؤمن بحرية الإرادة.

ويؤكد فوربونون في كتابه (في الثقافة)[٢٤٢] أن الفهم الماركسي اللينيني للحرية يناقض الموقف الفردي والبرجوازي الصغير. إن الإنسان الفردي يفصح عن رغبته في تحطيم العلاقات الاجتماعية، والارتقاء فوق الصراع الاجتماعي ليتأمل هذا الصراع (بحرية). إن هذا الفهم للحرية يتناقض تناقضًا مباشرًا مع الأيديولوجيا البروليتارية[*].

ورغم ذلك فقد توصل البعض إلى أن الماركسية[٢٤٣] عدوة الحريات بعد مقارنة بين النازية والشيوعية تأدى منها إلى القول بأن جوار الشيوعية والنازيين أقرب جوار.

ومن الطبيعي وجود خلاف جوهري بين المذهبين – كما يرى المؤلف. وما هي النازية؟ أليست هي مؤامرة الرأسمالية والإقطاعية ضد طبقات الشعب الألماني – بوجه عام – وضد الطبقة العاملة – بوجه خاص – أليست النازية هي الدفاع عن الرأسمالية الاستعمارية ضد طبقات الشعب الصاعدة، أليست هي الأقلية الطاغية تستبد بالأغلبية أبشع أنواع الاستبداد.

ولذلك فإن المحاولة التي تخلط بين فكرة الزعيم[٢٤٤] في المذهب النازي وفكرة الدولة في الشيوعية هي مغالطة مبتذلة، لأن الزعيم النازي لم يكن سوى الصنم الذي نصبه رأسماليون ألمانيا العسكرية الاستعماريون وزودوه بأموالهم ومن هنا جاء قول هتلر "إن العقيدة التي تتيح للشخصية الإنسانية الحق في حريتها وكرامتها لم تؤت إلا أعظم الدمار. إنها لن تصبح شيئا يذكر في اليوم الذي تنتظم فيه الدولة الألمانية).

إذن الحرية الفردية، في نظر الماركسية، لا يضحى بها من أجل الدولة، بل إن الدولة أداة لضمان هذه الحرية وتدعيم أسسها الملموسة.

كذلك يؤكد (كامنكا)[٢٤٥] أن ماركس كان جبريًا .. لقد أدرك أنه لا يمكن أن يوجد موضع للتفرقة بين عالم الحرية بمعنى اللاتحددية Inderminate وعالم السببية الفيزيائية، فالسلوك الإنساني والأحداث الاجتماعية محددة بالطريقة نفسها شأن كل الأحداث الأخرى، وعلى هذا الأساس أصلاً رفض تصور أن الفلسفة الأخلاقية معنية بالإرشاد والسلوك لهذا يرفض ماركس أن

الأخلاقيات معنية بالإلزام الشخصي، ولا موضع هناك لإلزامية بالسلوك وفق هذا المنحنى، لأنه سوف يسير فيه على أية حال.

والسؤال هنا ماذا يمكن أن يفعل الجبري بالحرية؟[٢٤٦]

إن ماركس الشاب، وهو يسير على خط اسبينوزا وهيجل، يتناول الحرية على أنها جبر ذاتي أن تكون حرًا يعني أن تتحدد بطبيعتك، وألا يكون حرًا يعني أن تتحدد من الخارج. وهنا يربط ماركس بين التناغم والتنافر بالتعاون والصراع. والصعوبة هنا تسدد إلى قلب موقف ماركس.

أما إذا قِيل إن مجرد تقرب سارتر[٢٤٧] من الماركسية أكبر دليل على تنكره لمذهبه السابق في (الحرية) خصوصًا وأن الماركسية تنادي (بحتمية التاريخ) وتقول أن البشر مجبرون حضاريًا واقتصاديًا ببعض الظروف، وبالتالي فإنها لا تكاد تدع مجالاً للحرية الفردية، كان ردنا، على ذلك، أن الجهد الذي قام به سارتر في كتابه (نقد العقل الجدلي) قد انحصر في العمل على إفساح المجال داخل الإطار الماركسي للفرد الحر، وأن سارتر لم يرد –قط- للوجودية أن تستحيل (فلسفة جبرية) تنادي بحتمية التاريخ.

والآن تأتي المعالجة الموضوعية لمسألة الحرية الماركسية من زاويتي الاشتراكية والرأسمالية.

أ- في المجتمع الاشتراكي

لأول مرة، وبشكل واقعي مع تطور المجتمع الاشتراكي، ينتقل الإنسان من مملكة الضرورة إلى مملكة الحرية، ومن مملكة الحيوانية إلى مملكة الإنسان الحقيقي. إن إمكانية تزويد كل فرد من أفراد المجتمع بفضل الإنتاج المشترك بوجود ليس هو ممتلئًا ماديًا فحسب، وصائرًا أكثر امتلاءً يوما بعد يوم، بل بوجود يضمن للجميع التطور الحر والممارسة الطبقية لإمكانياتهم الحكيمة والذهنية[٢٤٨].

ومن هنا جاء دور الثوري – كما يرى سارتر – فالثوري لا يثور للثورة بل يتجاوزها ويريد تنظيم المجتمع تنظيمًا عقليًا بنزعة الإنسانية جديدة .. إن حريته حرية تتخذ (الحرية هدفًا) لها والاشتراكية هي وسيلة تحقيق عالم الحرية[٢٤٩].

وهكذا نجد أن هدف الاشتراكية[٢٥٠] –دائمًا- هو انعتاق الإنسان. الانعتاق الذي هو نفسه، عملية تحقق ذات الإنسان، في سياق تفرده وتواصله

المنتج مع الإنسان والطبيعة .. إن هدف الاشتراكية، هو تطوير الشخصية الفردية .. إن مجمل مفهوم ماركس للتحقق الذاتي للإنسان يمكن فهمه بشموله فقط بالعلاقة مع مفهوم العمل..

إذن العمل، ورأس المال ليسا مقولتين اقتصاديتين فقط، بل أنهما مقولتان انثربولوجيتان، بِحُكم القيمة الأساسية في موقف ماركس الإنساني.

وقد اختصر (موريس توريز)[٢٥١] تعاليم الجدلية الماركسية حول هذه المسألة في عام ١٩٣٤ في المؤتمر القومي للحزب الشيوعي الفرنسي في الكلمات التالية:

"يناضل الشيوعيون ضد جميع صور الدكتاتورية البرجوازية حتى ولو ارتدت هذه الدكتاتورية صورة الديمقراطية البرجوازية .. كما يكشف الشيوعيون القناع عن عملية انحطاط الديمقراطية البرجوازية الرجعي، ممهدة الطريق أمام الفاشية".

ومن هنا كان حديث ماركس[٢٥٢] الدائم حول الاقتصاد والثورة السياسية وتطور المجتمع الدراماتيكي الذي تحققه الشيوعية والاشتراكية والديمقراطية الاجتماعية التي تتحقق بالحرية الإنسانية كلها.

وذلك من منطلق أن الأساس في الشخصية الاجتماعية[٢٥٣] هو الحقوق المتساوية equal rights والنشاط السياسي الحر يبدو أنه الهدف الحقيقي لرضا الذات الاجتماعية وهذا ما يقصد به الأيجو ego ولكي نفهم ذلك دعنا نختبر الإيجو أي الخبرة المعاصرة وممارسة الغطاء النفسي هذا الغطاء المكون للفردانية individualism وتستطيع الماركسية أن تساعدنا في فهم ذلك من خلال المكونات البيئية.

ب- في المجتمع الرأسمالي

لابد أن تدرك أن مصدر الحرية، التي نادت بها الرأسمالية وطبيعة هذه الحرية، هي حرية التجارة والأعمال بالنسبة للرأسمالي، وحرية العمل عند الرأسمالي بالنسبة للبروليتاري .. ولهذا يضطر البروليتاري، كي لا يموت من الجوع، إلى العمل طيلة الوقت المحدد كي ينال أجره.

أما البروليتاريا العصرية فهي كالعبد لا يملك شيئًا سوى حريته إلا قدرته على بيع قوته على العمل. وكان العبد ينال غذاءه من سيده. أما الرأسمالي

فهو يعطي البروليتاري في صورة أجر، الضروري مما يحتاجه في غذائه فالرأسمالية إذن هي (العبودية المأجورة)[٢٥٤].

إننا نصل إلى هذه النتيجة، وهي أن الإنسان (العامل) لا يعود يشعر بنفسه أنه يفعل بحرية إلا في وظائفه الحيوانية الأكل – الشرب – التناسل – سكنه – زينته، ولا يعود يشعر بنفسه إلا كحيوان في وظائفه البشرية، فالحيواني يصبح البشري، والبشري يصبح الحيواني.

وبدون شك إن الأكل والشرب والتناسل هي –أيضًا- وظائف بشرية بشكل صحيح، ولكن في التجريد الذي يفصلها عن باقي النشاط الإنساني.

وحتى الحاجة إلى الهواء الطلق تبطل أن تكون حاجة لدى العامل، إن تجريد الحاجة، ذلك لم يعد بالتلطف، بل هو إضعاف الحاجات الأكثر طبيعية ووضع مكانها حاجة مشددة في حدتها لكن مجردة، طالما هي لا تجد ما يرضيها.

لقد أصبحت الحاجة شبحًا: شبح الدراهم المفتش عنها بنهم (شبح البؤس)[٢٥٥].

ومن هنا كانت نظرية ماركس لها مفاهيمها الأخلاقية وخاصة فيما يتعلق بالليبرالية المعاصرة وديمقراطية أمريكا (إن صحت) واهتمامه بجذور التصور الديمقراطي ونقده الداخلي من خلال الجدل ومناقشة النظرية الديمقراطية من ناحية الوعود الفاشلة في إقامة مجتمع أفضل كما يدعي البعض وعلاقة ذلك بالعالمية internationalism[٢٥٦].

وأخيرًا، فقد حاولت الماركسية، بعد ماركس وبواسطة أنجلز، أن تنقلب إلى فلسفة، كما يرى البعض – وأن تبرر الحرية أمام الضرورة من دون أن تستوعب التبديل الأساسي في الحضارة، ولذلك نجد انجلز يظن أن الدعوات الهيجلية تكرار. لا يستقيم – كَتب أنجلز "لقد كان هيجل سباقًا إلى تقرير العلاقة بين الحرية والضرورة حق قدرها .. وأن الضرورة لا تكون عمياء إلا بقدر ما لا تكون مفهومة"[٢٥٧].

كما انتقد (إدجار موران)[٢٥٨]. الحرية الماركسية، ويرى أنه كان من المفروض أن يجد الإنسان، عند ماركس، خلاصة بإزالة الاغتراب بمعنى أنه يتخلص بالتحرر من كل ما هو غريب وبالسيطرة على الطبيعة إلا أن فكرة الإنسان، غير المغترب، فكرة غير عقلانية، لأن الاستقلال والتبعية ينفصلان، فنحن نخضع لكل ما يغذينا وينمينا ما نمتلكه يمتلكنا – الحياة – الجنس – الثقافة

أما فكرة التمرد المطلق، والسيطرة على الطبيعة والخلاص على الأرض إنما هي فكرة نحتها الجنون المجرد.

تعقيب: إن ماركس لم يلغ الجزء الضروري في حياة الإنسان وفي تشكيله ولكن يؤكد على الوجود المعنوي الحر في الفكر والتصرف والإبداع في الإنسانية كما ينبغي أن تكون فليس – عكس ما يدعي المؤلف – من الجنون المجرد أو غير المجرد أن يحقق الإنسان ذاته على الأرض وأن يتحرر من العبودية وأن يكون سيدًا على الأرض كما أراده الله أن يكون.

وهذا ما يجعلنا نناقش هنا مسألة الحرية بين المطلق والنسبي.

مستوى النسبية والإطلاق

لا شك أنه يوجد اختلاف كبير من أنصار المدرسة التجريبية أو المادية منها، فبينما يذهب البعض مثل الوضعية المنطقية، والسوفسطائية وآخرين إلى النسبية المطلقة وإلى اعتبار الأخلاق كلها أوامر وتعبيرات عن رغبات إنها عبارات لا تحمل صدقًا ولا كذبًا وبالتالي يرون عدم إمكان قيام أخلاق على الإطلاق .. فذهبت (المادية الديالكتيكية) إلى أن المطلق ينشأ من خلال النسبي، إن المطلق لا يتحقق كاملاً ولكنه في عملية نمو واتساع أفقي وعمودي باستمرار إن النسبية –عندهم- ليست مطلقة[٢٥٩].

يقول كامنكا[٢٦٠]: إن رؤية ماركس كانت إدراكًا غير مصطنع للفروق من الأخلاقية الوضعية وللاختلاف بين التعاون التلقائي للخيرات والتحالفات المؤقتة الخارجية والمفروضة الممكنة للشرور والتوتر، بين أخلاق الحرية والمشروع عند المنتج، واهتمام العمل بالغايات وأشكال الأمن والأرباح وينقد ماركس، حيث يكمن ضعف ماركس الرئيسي في فشله في استخراج الفرق بين الحرية في الإطار الوصفي وفي إطار طبيعة العمليات والحركات المتضمنة.

ويشارك انجلز ماركس[٢٦١] في أن جميع الأحكام الخلقية نسبية، وأن الأخلاقيات، في الواقع، تقدمت، أنه يفرض جميع القيم الخلقية المطلقة، ومع ذلك يتنبأ بظهور (أخلاقيات إنسانية حقة).. وتحت تأثير نفوذه تذبذب الماركسيون القطعيون حول الاعتقاد بأن الماركسية هي علم (حر القيمة).

وقد حاول هيلفردنغ Hilferding أن يحلَّ التناقض، بشكل صارم ١٩٢٠.

"إن نظرة الماركسية، كذلك تطبيقها بعيدان عن أحكام القيمة، ولهذا يكون من الزيف أن نتصور، كما هو الحادث على نطاق كبير من داخل الأخلاق وخارجها، أن الماركسية والاشتراكية متطابقان على هذا النحو ثم جاء قول شيسخين A.E. shishkin عميد الفلسفة السوفيتية المعاصرين (إن فلسفة الأخلاق الماركسية لا تفرض المعايير، إنها تستخلصها من الكيان الاجتماعي للإنسان).

وفي (الماركسية والتحليل النفسي) يرى أسبورن[٢٦٢]: أن العجز عن تفهم المتطلبات الأخلاقية الماركسية هو المسئول عن هذه الشروح الخاصة للموقف الماركسي. ونجد مثالا على ذلك في انتقاد الأستاذ ك.ر بوبر للماركسية عندما يصف الماركسية بأنها تتسم بنسبية أخلاقية والمبدأ الأخلاقي الذي تعتمد عليه الماركسية، يمكن تلخيصه في الشعار (تبنّوا أخلاق المستقبل)..

ويتصور بوبر أن ماركس يقول "إنني ارى أن البرجوازية مصيرها الفناء، وأن البروليتاريا، ومعها أخلاق جديدة، ستنتصر عليها، أرى أن هذا التصور لا يمكن تجنبه، ومن الجنون أن نقاومه، تمامًا كالجنون الذي يمكن أن نصاب به إذا ما ذهبنا إلى عكس قانون الجاذبية الأرضية، لذا فإن ضرورة الأساس يكون في صالح البروليتاريا وأخلاقها. وهذا القرار يرتكز على تنبؤ علمي وتاريخي".

إذن سيبقى السؤال الدائم للماركسية هو[٢٦٣]؟

Is any thing taken as an absolute in Marxist ethics, or is everthing relative.

أي هل يوجد مطلق في الأخلاق الماركسية أو ما يرتبط بها؟؟

إذن في النهاية، يأتي نقد مطلقية الأخلاق من إلغاء نظرية الضمير ويمكن إجمال ذلك في[٢٦٤]:

١- من الواضح أن ادّعاء المدارس المثالية بوجود ضمير نظري في كل إنسان، ضمير غير مكتسب (الحاسة السادسة) التي هي كحاسة البصر والسمع ووظيفتها تميز الخير والشر بالفطرة، هو ادعاء تبطله الحقيقة.
٢- قيم الأخلاق كالعدل والصداقة والمساواة ليست أزلية بل نشأت تدريجيًا. وقد بدا الإنسان من مستوى الحيوانات العليا، ولكن عن طريق التعاون والعمل واللغة، وأن لكل مجتمع قيمه.
٣- في تطور الإنسان وتطور قيمة وتشريعاته كان يشخص أيضًا آلهته، وينسب لهم تطوراته ومستواه وبالتدريج عمل على خلق عالم منفصل عن الأفكار والقيم المطلقة.

٥- الماركسية والمثالية الأخلاقية

بين الاستحالة والإمكانية

يشرح بيكاردا لدانتي، نظام الجنة[٢٦٥]، هي وصف لمجتمع متعدد الأشكال، ولكن يوجد بين قلوب أعضائه التفاني التام في تحقيق هدف مشترك، وتبعًا لهذا الهدف يحدد مكان كل فرد ويقيم نشاطه، وسيجد الأفراد مكانتهم من مكانهم في هذا النظام، وهم مندمجون مع بعض اندماجًا تامًا بفضل وحدة القصد التي تربطهم حتى أنهم نسوا أنفسهم وهم لذلك مسرورون.

هنا لا ضغينة ولا حسد الفرد للفرد كالبنيان يشد بعضه بعضًا
هنا لا أنانية ولا نزاع خيرات المجتمع في تناول كل فرد
هنا الصدق ولا شيء غيره وهنا العمل المتواصل لمصلحة المجتمع

الفرد للكل والكل للفرد

أيها الإنسان إن السعادة ليست في جمع المال، وإنما في راحة البال فكن خيرًا لتحظى بالهناء.

وهنا يبدو معيار القيم الأخلاقية في العلاقات بين الطبقات، وقبل كل شيء يضع النشاط الاقتصادي نفسه في مكانه المناسب كخادم للمجتمع لا سيده.

فما هو موقف الماركسية من هذه المثالية؟

كانت الماركسية[٢٦٦] تدعو إلى عمليات ثقافية متعددة إماطة اللثام عن (المثالية) ومبحث الابستمولوجيا يعيد النظر في تقنيات المعرفة الإنسانية نظرية جديدة عن الحرية يتيح الإفلات من اسر النزعة اللفظية في المقالات المثالية المنمقة من أجل (كرامة الإنسان).

وعندما يمضي ماركس في وصف الدولة الشيوعية[٢٦٧] تصبح لغته خيالية إلى حد يشبه لغة الاشتراكيين الفرنسيين الذين لم يتمكن من أن يحرر نفسه من تأثيرهم، ولذلك يقول عندما يزول التناقض بين العمل العقلي والجسماني وعندما يصبح العمل ليس وسيلة للعيش، هنا يستطيع المجتمع أن ينقش على علمه عبارة (من كل فرد حسب مقدرته، وإلى كل فرد بحسب احتياجاته).

وكما فعل ماركس[٢٦٨] الذي كان أول شخص وصل لنتيجة أكيدة من دراسته لنظرية القيمة لكن رودبرتوس فتح أمامه الباب الذي يقوده بها للطوباوية utopia .

وقد ظهرت الطوباوية في كتاب جون جراي John Gray ١٨٣١ وجربت هذه الطوباوية وبشر بها في إنجلترا ١٨٣٠ وظهرت في ألمانيا على يد رودبرتوس ودعاها الحقيقة الأخيرة وأظهرها برودون في فرنسا ١٨٤٦.

والماركسية هي جزء لا يتجزأ من ميراث حداثة النهضة والتنوير[٢٦٩]، فقد كان هدفها الوصول إلى المجتمع اللاطبقي، ولم تكن تمجيد البروليتاريا سوى محطة للوصول إلى نفي جميع الطبقات بما فيها البروليتاريا، ولم يكن التركيز على الجانب الاقتصادي سوى وسيلة للتحرر الإنساني الشامل، ولكن تكلس الحلم الماركسي وتوقف تطبيق الماركسية عند حد ديكتاتورية البروليتاريا ومركزية السلطة خاصة (في العصر الاستاليني) وبذلك تحولت الأفكار الساعية إلى حلم التحرر الشامل إلى إيديولوجية تدافع عن مصالح محدودة وطبقية، وهنا يمكننا القول أن تاريخ الفلسفة هو تاريخ الصراع بين الفلسفة والإيديولوجيا أو بين التسامح والتعصب وبين الحرية والقمع.

إن المجتمع المثالي في النظرية الماركسية[٢٧٠] هو الذي يحل فيه التعاون محل الصراع بين الطبقات – كما يبدو من فكرة ماركس أن كل ما هو طيب بالنسبة للإنسان يتحقق في مجتمع دون طبقات مؤسس على مستوى مرتفع للإنتاج. وهذه الفكرة مختلفة عن المثل الأعلى السياسي لأرسطو الذي وضعه الأستاذ (تيلور) كما لو كان المثل الأعلى لارستقراطية قليلة العدد، ولكنها تمتلك أوقات فراغ، ومستوى عاليًا من الثقافة. هذه الارستقراطية التي لا تمتلك ثروة هائلة، ولا تتميز بطريقة ملحوظة بغنى مادي، وقد تحررت من روح المغامرة تعمل بهدوء على ارتقاء العلوم والفنون على حين تقوم طبقة من العمال على توفير حاجاتها المادية، هذه الطبقة لا تتمتع بالحقوق المادية تعامل بلطف ولكنها دون مستقل، رغم أن ماركس يكن لأرسطو إعجابًا شديدًا ويعده أعظم فلاسفة الحضارة القديمة. إلا أن فكرة أرسطو لا يجب أن ينظر إليها من زاوية الظروف التاريخية.

وقد كان ماركس لا يشغل باله بتعريف ما هو خير بقدر انشغاله بكيفية تحقيق السعادة في المجتمع، أي تحقيق الظروف المواتية التي تمكن الإنسان من الوصول إلى السعادة أكثر من اهتمامه بالخصائص المجردة لحالة السعادة.

ومن هنا كان ماركس على وعي بالمثل واليوتوبيات القديمة[٢٧١] التي تحققت في إطار الأنساق التأملية speculative systems ، كما تحدثت عنها إنجلترا أيضًا من خلال مخطوطات ماركس وبعد وفاته.

ويلفت ماركس نظرنا إلى سؤال هو[٢٧٢] هل يجب أن نظل مكتوفي الأيدي ونحن نتأمل معنى التاريخ وننتظر جنة عدن المقبلة أو يجب أن نشتغل لتحقيق مثل أعلى يستحق جميع مجهوداتنا وكل طاقتنا؟

"إنّ الجماهير تملي على التاريخ مهمته وفعله"!!

وإذا كان الإنسان الحي، الواقع وحده الذي يعمل شيئًا فذلك أن ماركس يتحدث عن (تاريخ مثالي) وبالمقابل عن الإنسان الخائض في الحياة الاقتصادية ضمن القوى المنتجة.

ولذلك فإن ما يميز النظرة الماركسية للاشتراكية[٢٧٣] عن النظرات الخيالية (اليوتوبية) هو أنها تجعل مطلب الجماهير الذاتي منذ آلاف السنين يتفق ومتطلبات القانون الاقتصادي الأساس لنوع من الإنتاج قد حدد بصورة علمية وهذا ما يفسر نجاح بناء الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي بقيادة الحزب الشيوعي وليس بسبب اختيار حر أو حظ سعيد بل لأنه كان ملمًا بعلم المجتمعات، كما يرى البعض.

ومن هنا لم تأتي مثالية ماركس[٢٧٤] إلا بعد الدراسة الحقيقية للواقع الراهن، حيث وضع ماركس وانجلز الخطوط الأساسية في مبدأهما في وقت مبكر بعد أغسطس ١٨٤٤ حين التقيا في باريس واستطاعا الحكم على العديد من النظريات التاريخية والفلسفية واليوتوبية والاقتصادية والسياسية وفن التعبئة العسكرية Tactical والحكم أيضًا على النظريات الزائفة للواقع.

ومن هنا ظهرت اليوتوبيا عند اليساريين وهي يوتوبيا اشتراكية تستوحي ألفاظها من قاموس اشتراكي مثل (الجوع – الشعب –الكفاح – العمال)[٢٧٥].

وقد ارتبطت الشيوعية باليوتوبيا؛ لأنها، بتفكير بسيط، هي القريبة إلى اليوتوبيا، وتاريخ الشيوعية القديم[٢٧٦].

وهنا يجد ماركس أن الرأسمالية وقد أخذت بالتعفن أكثر فأكثر، لم يكن لها بد من أن تخلق (حفاري قبرها) ولكن هوية هؤلاء تبقى –وحدها- غير محددة.

على أن ماركس، على كونه (متفائلاً)، إلا أن المهمة التي يقترحها أمر مطلق مع أن هذا الأمر مشروطًا –تاريخيًا- في تحديداته ولكنها من مهمات ماركسية لمن ينتسب كليًا للمادية التاريخية[٢٧٧].

وهنا يجدر بنا توضيح تلك العلاقة بين الماركسية والهيجلية في المسألة المثالية.

يقول ماركس، ردًا على هيجل[٢٧٨]، إن المثالي ليس إلا العالم المادي منعكسًا بواسطة الذهن الإنساني، وذلك لتمييز المادية عن المثالية إلا أنه يبرز هنا سؤال:

أيلزم من ذلك في اللغة المادية الجدلية أن يصبح مصطلح مثالي معادلاً للوجود في الوعي فقط كما هو شائع؟

يقول أساتذة الماركسية: إن مثالية هيجل أقرب، كثيرًا، إلى الحقيقة من المادية (الغبية) السطحية المبتذلة.

والسؤال ما هي كنه العلاقة بين المثالية والأخلاقية الماركسية؟

يجب أن نعرف، في البداية، أن التجريد يلازم المثالية[٢٧٩] في أحكامها (عامة) فلكل كيان قائم مثل أعلى مجرد وهو بمثابة الروح للجسد، فالمجتمع لا يتألف من مجموع أفراده وكيان المجتمع المادي الزائل لا يساوي بالنسبة للمقومات الروحية التي هي الجوهر الخالد أكثر مما تساوي الواسطة بالنسبة للغاية. وبهذا الاعتبار لا تقوم المثالية بتقدير ما يقدمه الناس من تضحيات بمعيار المنافع المادية التي يحققونها لأن التضحية للمثل لا تكون حقة، إلا إذا كانت مجردة عن استهداف النفع المادي.

ولذلك يرى ادوار موروسير[٢٨٠]: أن محرك الاشتراكية عند البعض هو لغة الطوباوية الأخلاقية والماركسية من حيث اعتبارها حركة مهدية، غير أننا نشعر –أحيانًا- بانطباع أن التناقض الأساسي، الذي ينبغي حله، هو تناقض المسيحية والماركسية، وأن الحلَّ يبدو من خلال تفسير التعالي على أنه (مبدأ الحرية). وتأتي المصالحة داخل مذهب تعدد سياسي وأخلاقي، وعلى أساس مبدأ الإخصاب المتبادل.

كما تبدو المثالية، في الجانب السياسي، وخاصة (الحرب والسلام)[٢٨١] حيث يكتب اليساريون في مقولاتهم: أنه خلال الربيع والصيف القادمين يجب أن يبدأ انهيار المنظومة الإمبريالية.

وقد يرى البعض أن الصياغة –هنا- غير دقيقة، وجاءت على نحو أكثر صبيانية على الرغم من التظاهر بالعلمية.

ولكن على الرغم مما تقدم من فكر مثالي يتلاحم مع الفكر الماركسي إلا أن المثالية –هنا- لم تخلو من نقد لها..

يقول إنجلز، وهو يمتدح ماركس[٢٨٢]: لقد كشف ماركس عن حقيقة بسيطة ظلت دفينة إلى يومه تحت ركام من أضاليل المثالية – حقيقة بسيطة هي: أن الضرورة الأولى والأساسية والشغل الشاغل لبني الإنسان هو الطعام والشراب والملبس والمأوى التي لا يستطيع -بدونها- أن يشغل باله بالسياسة والعلم والفن والدين.

كذلك نجد لينين[٢٨٣] يتحدث عن المعالجة الماركسية لتطور المؤسسات الاجتماعية فيقول "ليس هناك أثر لأي محاولة من جانب ماركس لتأمل أو تفكير في إقامة يوتوبيا، أو صياغة افتراضات بلهاء ساذجة عمّا لا يمكن معرفته، فماركس يتناول موضوع الشيوعية بنفس الطريقة التي يمكن أن يعالج بها عالم الطبيعة موضوع تطور نوع بيولوجي جديد".

ويأتي نقد آخر في (أفكار جديدة لعالم جديد) [٢٨٤]: إن الأفكار الكلية المتمثلة بالماركسية اللينينية حققت تقريبًا – وفي كل المجالات عكس ما كانت تسعى إليه من غايات على مدى طويل: وهو ربط وسائل الإنتاج والتبادل بالدولة ربطًا كاملاً..

أما الأفكار الكلية المتمثلة بالقومية الاشتراكية (النازية) فحققت الإفناء، الذي ارتبط اسمه بها، لكنها لم تستطع أن تحقق (المجتمع المستقبلي المثالي) الذي كانت بطلته والقومية الاشتراكية تقوم على فكرة سلبية يسيطر عليها وهم الانحطاط والموت إلى جانب فشل ايديولوجيا الكمال، وانتظار الوصول إلى جنة أرضية، إنما يمر من خلال الإشارة إلى كبش محرقة يفترض به أن يشكل أصل كل بلاء.

إذن المشكلة ليست في تصور مجتمع مثالي[٢٨٥]، كما أن تلخيصها في ثورة المقهورين على القاهرين أو المظلومين على الظالمين هو تبسيط مخل، فتاريخ الفكر مليء بمجتمعات مثالية كثيرة، ولم يحاول أحد الوصول إليها، أو باءت كل محاولات الوصول إليها بالفشل.

كما أن تاريخ المجتمعات مليء بالثورات التي قام بها المقهورون، والثورات التي استخدم فيها المقهورون والمظلومون التي منيت بالهزيمة، أو تمخضت عن طبقات جديدة تمارس قهرًا أو ظلمًا من نوع جديد. وبالعلم نستطيع أن نتبين كيف تتطور المجتمعات البشرية، ومن ثَمَّ يمكن أن تجعل هذا التطور مجالاً للنشاط الواعي.

٦- الماركسية في ميزان النقد

(انتقادات – تحيزات)

تعرضت الماركسية – شأنها شأن الفلسفات الأخرى- للنقد والتحليل والهجوم والشروح والتحيز .. وكان لابد لفلسفة ثرية، ذات أبعاد سياسية واقتصادية واجتماعية، أن تنال كل هذا الاهتمام من الآخرين، فهي فلسفة استطاعت أن يكون لها تأثيرها الواضح على الإنسان والمجتمعات لما تحمله من قضايا هامة كانت ولازالت، موضعًا للنقاش بل أن هناك قضايا ماركسية تفرض نفسها على الواقع المعاصر بحكم حيويتها وفاعليتها المستمرة..

أ- الانتقادات الموجهة إلى الماركسية

١- من الزاوية الفلسفية

يقول سارتر في (المذهب المادي والثوري) إنه لا يحاسب الماركسية على ما يعتقدونه، بل على ما يفعلونه. وهذا ما يفسر بأنه لا يكتفي بأن يكون مجرد ماركسي، ولهذا فإنه في اللحظة التي يصرح فيها بأنه يتبنى الماركسية كمنهج موجه، يوجه –أيضًا- عددًا من الانتقادات الأساسية إلى الماركسية، ويمكن تلخيص كافة الانتقادات، إذا ما حددت أنها موجهة إلى (كسل الماركسيين) وهذا الكسل يتجلَّى في إيمان الماركسيين بأن الماركسية قد تكونت واكتملت، ولم يعد هناك من جديد يكتشف، وأن جميع الأسئلة قد تم الرد عليها، لكن سارتر يعتقد أن الماركسية مازالت فتية، وأنها بعيدة عن أن تكون قد اكتملت لأنها كالإنسان لا تتكون –نهائيًا- إلا في لحظة الموت[٢٨٦].

تعقيب ← خطأ النقد السارتري هنا يقوم –أساسًا- على إغفال جوهر الفلسفة الماركسية التي تقوم –أصلاً- على مبدأ الحركية والجدل وحركة التاريخ والتطور وهو الإيمان الباقي دائمًا عند الماركسيين. فكيف يوجه سارتر نقده إلى إلى (كسل الماركسيين) وهم من آمنوا بالتطور والاستمرارية ولم تكن حركيتهم كسل ولا علميتهم خمول وبطالة.

إن الماركسية[٢٨٧] بفرض أنها نظرية لها قيمتها، نتاج التفكير الغربي. والتهمة الرئيسية التي يمكن توجيهها إلى ماركس بوصفه ثوريًا دوليًا، هي أنه فكر في الثورة في حدود قصرها على الأحوال السائدة في الغرب. وسار الروس على هديها إلا أنه كان يعوزهم –دائمًا- الشعور بالنسبية، فاعتنقوا المذهب في يقين صلب لا يلين، حتى أحالوه إلى قانون متحجر جامد يظنون أنهم، وحدهم، القادرون على تفسيره تفسيرًا صحيحًا..

ومن هنا يأتي نقاد الماركسية فيما يتعلق بالمادية التاريخية[٢٨٨] فهم نقاد الماركسية البرجوازية الذين أثبتوا أن ما يعلنه الفلاسفة الماركسيون من صلة بين المادية والتاريخية، وبين مصالح الطبقة العاملة وأفكار الشيوعية ما هو إلا دليل على الضيق الطبقي لدى العلم الاجتماعي الماركسي اللينيني.

كما قام البعض بنقد المنهج الجدلي[٢٨٩].. إن المنهج الجدلي الذي اصطنعه ماركس له تأثير. على المؤرخين المتأخرين فنجد (وليم هنري تشمبدلن) نقد هذا المنهج فيقول (لقد عجزت الطريقة) المادية التاريخية التي أسسها ماركس عن تعليل ما نراه من فروق واضحة بين الشعوب التي في مستوى واحد من حيث الرقي الاقتصادي، فلم تدخل في حسابها العوامل الحيوية كالجنس والدين والقومية.

ويعد أنثوني جيدنسن[٢٩٠] Anthony Giddens من الناقدين المعاصرين للمادية التاريخية حيث قام بالنقد الجذري والأصلي للماركسية Marxism and some radical critics وقدم رؤيته في (النظرية البنائية) فالحياة الاجتماعية لا تدرس من خلال الإنتاجية والاستغلال بل من خلال القوة والسيطرة ولذلك رفض المزاعم المتعلقة بالمادية التاريخية لسببين:

الأول: نموذج الإنتاج ليس هو المفتاح دائمًا لخطة البناء الاقتصادي.

الثاني: التغيرات التاريخية في بعض الأحيان تعبر عن القوة وعلاقات الإنتاج.

ولذلك يرى البعض أن الظواهر الفوضوية[٢٩١] الكمية موجودة في الاقتصاد، وهكذا فإن الاقتصاد الحر يبقى صحيحًا على الرغم من وجود الأزمات الاقتصادية، كما يقول البعض أن الرأسمالية حيث تسود الظواهر الفوضوية في أوربا والولايات المتحدة قد أغنت الإنسانية بالاكتشافات والمعرفة .. إن الحياة والرياح هي ظواهر فوضوية إن الفوضوية تسود معدل هطول المطر وحركة الرياح فوضوية أيضًا فالظواهر الفوضوية لها تطبيقاتها.

والسؤال من أين يأتي خطأ الماركسية عند السوفيت؟

إن التراتيل السوفيتية عن تحويل ملكية وسائل الإنتاج إلى الدولة قد جعلت الكثيرين الذين لم يهتموا بأن يقرأوا أي شيء لماركس يتوهمون أن الماركسية هي وصفة جاهزة أو ملكية الدولة لوسائل الإنتاج. وقد ثبت في التطبيق خطأ (النظرية) [٢٩٢].

ولذلك نجد في مؤلفات لينين (١٩١٤ – ١٩١٨) اقتباسات واستشهادات من كاوتسكي الماركسي ولكن لينين كان يتميز عند كاوتسكي بأنه لم يكن أسير نص النظرية الحرفي، فقد كان على اقتناع بأنه لا يمكن الاحتفاظ بالروح الثورية الحقة إلا في حالة امتلاك القدرة على رؤية العالم بنظرة جديدة دون تحيز أو أحكام مسبقة أو استسلام الذهن لمجموعة من الصيغ والمعادلات الجاهزة(٢٩٣).

٢- من الزاوية الإنسانية والأخلاقية

يقال أن ماركس كان ينكر أهمية الفرد ككائن لدرجة أنه لم يقدر، ولم يفهم الحاجات الروحية للإنسان، حيث يظن أن مثاله هو الإنسان الحسن التغذية والكساء و(المعدوم الروح)(٢٩٤).

وهنا تغدو الإيديولوجيا محض أيديولوجيا رغم تحفظات إنجلز الصريحة. وقد استتبع ذلك بالفعل تهوين من (مضمار الذاتية) بأكمله وهو تهوين لم يطل فقط الذات من حيث إنها Egocogito أي الذات العقلية بل – كذلك- الداخلية والانفعالات والمخيلة، فذاتية الفرد ووعيه ولا شعوره تنزع إلى الذوبان في الوعي الطبقي، ومهما مهد السبيل أمام هذا التطور تأويل الذاتية على أنها مفهوم (برجوازي)، وهذا أمر مشكوك فيه تاريخيًا(٢٩٥).

ويأتي رأي آخر ضد النزعة الذاتية في الماركسية من حيث إن الحرية الفردية في التعبير والنقد مرتبطة بالسيادة ولكنها لا تتحقق إلا بسيادة الفرد على نفسه، وليست بسيادة الدولة التي تتجسم في الواقع في النظام الماركسي، في عصابة معينة محددة وفي زعيم يتزعم هذه العصابة بكل أساليب الإرهاب، وليس بأسلوب الاستقامة في التفكير والتصرف، والتوجيه، وهو أسلوب الإنسان المهذب وسبيل الإرادة القوية ليس إذلال (الدولة) للفرد، وليس استقلال جماعة الحزب الشيوعي في النظام الماركسي للفرد(٢٩٦).

ومن هنا يأتي الهجوم على الأخلاق الماركسية. هذا الهجوم على المعالجة الموضوعية للمشاكل الأخلاقية على الرد (المادي) للأيديولوجيات إلى الأسس المادية للمجتمع وإلى الموقف المادي لطبقة ما أو إلى (المصالح) المادية وهي موجودة في بعض صفحات البيان الشيوعي(٢٩٧).

ومهما كان الظلم الذي وقع على عمال المصانع في أوربا الغربية من جانب أصحاب رؤوس الأموال، فإن ذلك لا يبرر، على الإطلاق، أن يكون

النداء باسم الفلسفة والتفكير الإنساني الذي يوجه العمال هو (الثورة الدموية أو الانقلاب والتخريب)[٢٩٨].

ويرى كامنكا[٢٩٩]: نتيجة فشل ماركس في تناول المسائل الأخلاقية بشكل إيجابي، وفشله في الرفع من شأن طرق الحياة والتنظيم فوق الغايات والسياسة، فإن الفروق الأخلاقية لم تلعب دورًا رئيسيًا في الثقافات التي صدعت الماركسية.

ولم تكن المسألة الحقيقية، التي تواجه الماركسية هي فلسفة الأخلاق، بل النتائج المترتبة على إهمالهم لفلسفة الأخلاق، لقد كان ماركس على خطأ في تبين الانهيار الباطني للرأسمالية والإفقار المتزايد للعامل. ومن الملاحظ أن الإهمال الماركسي لفلسفة الأخلاق قد حال بين الماركسيين وبين الهجوم على النزعة الإصلاحية لإعلائها من شأن الجوائز والأمن.

فقد حاول المشروع الماركسي[٣٠٠] تطوير شكل متطرف من المساواة الاجتماعية، على حساب الحرب، وذلك بإزالة اللامساواة الطبيعية والاستعاضة عنها بمكافأة الحاجات وليس الكفاءات وبمحاولة القضاء على تقسيم العمل. فكل محاولة مستقبلية تجعل المساواة الاجتماعية تتقدم إلى ما وراء (مجتمع الطبقة الوسطى) ينبغي أن تقاس بفشل المشروع الماركسي، ومن أجل التوصل إلى إلغاء الفوارق (الضرورية والثابتة).

وكان لابد أن تنتهي هذه المجتمعات الشيوعية إلى قبول درجة أساسية من اللامساواة الاجتماعية يسميها ميلو فان جيلاس Milovan Djilas الطبقة الجديدة من رسمي الحزب، وقد ذكر ذلك في كتابه الهام :The new class Analysis of the communist system.

إذن من المؤكد أن الضعف الأساسي في تفكير ماركس[٣٠١] يكمن في فشله باستخلاص نظرية عن الطبقات والتنظيمات والحرية في إطار إيجابي، في إطار طبيعة العمليات وفي صراع الاتجاهات تصاغ الأهداف وتنشأ التكيفات وقد آمن ماركس بمجتمع لا طبقي تختفي فيه صراع الاتجاهات وطرق المعيشة.

وهكذا يصبح الانتقال إلى الاشتراكية شيئًا لا يقدر ببساطة على بحثه بجدية كان يجب أن نخرج من الحسبان (الطبقة الدقيقة لديكتاتورية البروليتاريا) وقيم ووسائل الحياة، كما يمثلها الناس الذين تقع في أيديهم مقاليد الأمور. إن القضاء على الملكية الخاصة سيقضي على الأساس الذي تقوم عليه المصالح المتنافسة.

إن رؤية الاشتراكي للمجتمع كما تقول (روزا) عن لينين (هي رؤية الرأسمالي لمصنع يديره رئيس عمال)

إن لينين – كما يرى كامو-[٣٠٢] لم يرحم ضرب كل الأشكال العاطفية من العمل الثوري، وكان يريد تطهير العمل الثوري من كل اخلاقية يمكن أن تعوقه، لأنه كان يعتقد –بحق- أن السلطة الثورية لا يمكن أن تقوم لها قائمة مادامت تحترم الوصايا العشر.. إنه يأخذ زمام السلطة بلا قلق ولا يبالي بأية اخلاقيات باحثًا عن أحسن الطرق لتشغيل الدولة.

إذن لسنا في حاجة إلى ماركس وانجلز[٣٠٣] ليقول لنا إن معايير السلوك تتقارب من عصر إلى عصر، ومن جيل إلى جيل، وأن على كل جيل أن يحل مشاكله الخلقية الخاصة به، وليس هناك أخلاق عامة، بل ليست أكثر من تعبير عن مصالح الطبقة، مع أن كل مؤلف أدبي عظيم يعكس الأحوال الاجتماعية التي تسود عصره، كما أن هناك مبادئ خلقية مطلقة وثابتة لا تتغير حظيت بالموافقة العامة عبر العصور مثل الصفة العامة التي تقود الناس إلى الموافقة على أن (سقراط) كان رجلاً صالحًا وأن (نيرون) كان رجلاً شريرًا. وأن الصدق والإحسان خير من الكذب والحَنث.

ولذلك يقال[٣٠٤]: إن التجربة قد كشفت أن الماركسية (نظرية ناقصة) وأن الزمن والتجربة قد أبرزا الكثير من نقائص الفكرة الماركسية، لقد أثبتت تجربة الزمن أن تحليل ماركس لأحوال زمانه كان خاطئًا، فأسلوب العمل، الذي اقترحه ماركس، أصبح بلا جدوى، والحل الذي اقترحه لعلاج مشكلات البشر هو أبشع أنواع (الظلم). وهكذا رفضت تجربة التاريخ كل تلك الأسس التي اعتمدها ماركس لبناء (مبادئ فلسفة المستقبل) وهو عنوان كتاب لماركس نشره ١٨٤٢.. إن هذه التجربة التاريخية هي حكم التاريخ على الماركسية، ولكن أتباع ماركس رفضوا قبول هذا الحكم .. ويقال إن الحقائق الجديدة التي يقدمها أتباع ماركس، هي أدلة على أخطائه ليس إلا.

وفي المجال الاقتصادي نجد مدلول ريكاردو[٣٠٥] بأن الإنتاج الاجتماعي الكلي يخص العمال لأنه من نتاجهم، وأن هذا القول يقود إلى الشيوعية، لكن كما يشير ماركس فيما يتعلق بالقول السابق بأنه خطأ من الناحية الاقتصادية، لأن هذا القول يؤدي إلى (تطبيق الأخلاق) في (حقل الاقتصاد) وحينما نقول (هذا ليس عدلاً) ويجب ألا يكون هكذا فإنما يصبح هذا القول متعلقًا بالأخلاق لا بالاقتصاد وهذه الحقيقة الاقتصادية (تناقض الشعور الأخلاقي).

والحقيقة أن أعداء الاشتراكية[٣٠٦] وهي البرجوازية الرأسمالية يقولون إن نجاح الاشتراكية لا يمكن أن يتحقق إلاباستبعاد الفرد، فيزعمون أن الاشتراكية تقضي على الطاقة الشخصية والأفراد ومواهبها وحقوقها وحريتها .. والحقيقة عكس ذلك – كما يرى المؤلف – أي أن الرأسمالية هي التي تفعل ذلك.

ولذلك نجد موقفًا واضحًا من الميتافيزيقية[٣٠٧] تجاه الماركسية وهم حانقون غيظًا عليها ويعيبون عليها (ثوريتها) لأنهم محافظون ودعاة استقرار وبدون هذا الاستقرار هم لا يرتاحون ولا يطمئنون على فلسفتهم وعلى الأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية المرهونة به.. الميتافيزيقيون هائمون بالاستقرار وذلك يعود – كما يرى المؤلف – إلى تخوفهم على الأوضاع القائمة في عالمهم وحرمان أسياد العالم من مغانم يضمنها لهم هذا الاستقرار. إن الاستقراريين يرون في كل حركة تحررية في بلد، خطرًا عليه وعلى السلام العالمي.

إذن على المستوى السياسي نجد أن الماركسيين المتزمتين[٣٠٨] المتمسكين بالرؤية كان عليهم أن يجدوا بديلاً للبروليتاريا، ولقد وجد لينين الذي يعني بالشعبية الروسية البديل في الطبقة المثقفة الثورية والحزب المركزي الهرمي البناء للثوريين المحترمين الذين يعملون كطليعة للطبقة العاملة.. ثم ظهر الاستبداد من قبل الحزب الشيوعي وأن هذا الاستبداد لايشير إلى عدم جدارة رؤية ماركس، بل بالأحرى إلى أنه كان معها بنصف قلبه.

ولذلك يمكن اعتبار أن التقدمية[٣٠٩]، التي ينادي بها اليساريون الماركسيون (من أتباع لينين) اليوم هي شعار الاستبداد بالحكم في مجتمعاتهم أو هي أوحى عماله لأولئك الذين يساندوهم في البقاء في كراسي الحكم في هذه المجتمعات، الذين سبقوهم إلى تطبيق فكر ماركس في العشرينات من القرن (٢٠) وما يزالون يرونه صالحًا للبقاء منذ الحرب العالمية الثانية.

ومن ضمن الاعتراضات الموجهة إلى منظومة الأخلاق الماركسية ما جاء به سوريل[٣١٠].

إذن يجب الاهتمام بالأسس الميتافيزيقية لفكر ماركس، وما يدعم ذلك أن ماركس لم يخشّ شيئًا قدر خشيته تناول أفكاره على نحو ثابت نهائي، ومن ثم فإن تحديد نظرية ماركس بصورة قاطعة بدا متعارضًا، عند سوريل مع طبيعة فكر ماركس بالدرجة الأولى.

وقد بدت الصعوبة، عند سوريل، في اقترابه من ماركس من خلال (الاهتمامات الأخلاقية عند برودون) خصوصًا وأن ماركس انتقد نظرية العدالة عند برودون باعتبارها مجرد توازن بين القوى لا تقدم حلاً للتناقضات الكامنة في النظام البرجوازي ..

إن المشكلة عند ماركس أكثر تعقيدًا، وهي تتطلب، لحلّها، تذويب الفروق بين الطبقات، وتصفية الشقاء الإنساني الذي تولد بنظام تقسيم العمل.

والحقيقة، كما يرى (بيرتون)[٣١١]، أن نيتشه وماركس من محطمي القيم والأصنام يعني ممن أرادوا تحطيم عدد كبير من القيم في عالم القرن (١٩) حتى يتحقق للإنسان وجود أخصب وأكمل.

والآن ما هو النقد الموجّه إلى الماركسية في المثالية؟

يرى كروتشه[٣١٢] أن البحث الماركسي، في أساسه، لم يكن واقعيًا، فقد تصور ماركس، في دراسته، مجتمعًا مثاليًا نموذجيًّا تناول فيه المجتمع الأوربي الحديث والدول الغربية وأمريكا، ولذلك فالبحث الماركسي في هذا المجال لم يكن إلا قضايا لا صلة لها بالواقع، مما أدى إلى اعتقاد كروتشه أن كتاب (رأس المال) هو بحث تجريدي، الأمر الذي يشكل اختلافًا بين ما يسمى بالمجتمع التاريخي من جهة، والمجتمع الافتراضي التصوري من جهة أخرى.

ومن هنا، يرى كروتشه أن صورة المجتمع الأخير هو الذي كان مجرد بحوث ماركس ونشاطه، ولذلك بقيت أطروحاته مجرد فرضيات لم تتحقق في التاريخ.

تعقيب ← سؤالنا لماذا لا تتحول الفرضيات إلى وقائع ملموسة وتطبيقات فلسفية .. فقد كان يجب على كروتشه أن يحاول إيجاد البدائل أو الظروف الملائمة للتطبيق الماركسي بدلاً من لهجة الإحباط لكل النشاطات الماركسية.

ولذلك يرى البعض أن فلسفة ماركس[٣١٣] لن تكون فرعًا من الفردوس أو تجسيدًا لمستقبل ذهبي يزول فيه كل قهر واغتراب، كما يحدد (إله) التاريخ و(نبيُّه الأمين) كارل ماركس.

والسؤال الآن ما هي أزمة الماركسية، وعلاقتها باستمرارها أو زوالها؟ إنه سؤال هام تبدو مسألة الممارسة، عند الماركسية، من أكثر الانتقادات والأزمات التي واجهتها الماركسية.

ولذلك يقول جارودي[٣١٤] يستطيع الماركسيون، كحل لقضية الممارسة، أن يرددوا الكلمات ممارسة – عمل – فعل – إنتاج -شغل – صيرورة – تحول، وأن يضعوا علامات التشديد، هذا لا يحل المسألة، لا يحل أية مسألة.

فقد أعجب هابرماس[٣١٥] بالنظرية الماركسية، وقد قرأ كتاب لوكاش (التاريخ والوعي الطبقي) History and class sciousness بحماسة، وقد خلص في النهاية إلى أنه من المستحيل تضييق ماركس أو لوكاش مباشرة على مرحلة ما بعد الحرب الكبرى، وكانت هذه الثنائية هي التي جذبته إلى هور كهايمر وكتاب أدورنو وجدليات التنوير Dialectic of Enlightenment.

ويشترك هابرماس مع التقليد الماركسي في الاهتمام بتطور الرأسمالية وتناقضاتها مع الحياة الاجتماعية والشخصية، إلا أنه، هو نفسه، يرفض المسلمات الأساسية لماركس ونادى، بدلاً من ذلك، بضرورة إعادة بناء المادية التاريخية في كتابه عن (النظرية والممارسة) فعلى الرغم من أن الاتحاد السوفيتي –نفسه- لم يلغ –تمامًا- المبادئ النظرية الخالصة للماركسية، فالظاهر أن هايرماس كان يشك في هذه المبادئ الوثيقة الصلة بإحداث نوع من احتكار بيروقراطي يهدف إلى تقصير الانتقال من الاقتصاد الزراعي إلى الصناعي المتقدم.

إذن ما هي أزمة الماركسية الحقيقية؟

توجد نظريتان[٣١٦] ترى الأولى أن الأزمة هي أزمة نمو، بينما ترى الأخرى أنها أزمة زوال واحتضار، ولكن لابد لدعاة النظرية الثانية، كي يكونوا محقين في زعمهم، أن يثبتوا أن الماركسية تتغافل عن قضاياها وتناقضاتها الداخلية، وإلا فلا دلالة لادعائهم، إلا أن الماركسية تعاني تبدلاً وتحولاً أما النظرية الأولى نظرية (أزمة النمو) فلا تثبت بمجرد الادعاء، بل تقتضي بتبيان التجدد الذي تصير إليه هذه الأزمة.

وقد حملت الماركسية[٣١٧] في باطنها، خصوصًا في صورتها الستالينية، جذور انهيارها، التي تمثلت في البيروقراطية والفساد.

ولذلك لم تَبْقَ الماركسية[٣١٨] كثيرًا بل فقط إلى عام ١٩٧٠- كما يرى البعض – وقد حلت محلها ما بعد البنيوية Structuralism وما بعد الحداثة Modernism.

٢- تحيزات حول الفلسفة الماركسية

يقول (كاريو) يجب أخذ الماركسية مأخذ الجد، ومن أكبر الأخطاء التهوين من شأنها وقوتها، شأنها شأن أي نظام فكري تكمن في قوة اجتذابها لطبقة المثقفين، ولا يمكن تفنيدها بمجرد أن ننسب إلى زعمائها مواقف وأعمالا لم يتخذوها، ولهذا يتعين بذل الجهود لعرضها عرضًا عادلاً موضوعيًا. ويرى (كاربو) أن الماركسية (مذهب جبار) لا يمكن معارضته معارضة ناجحة إلا على أيدي هؤلاء الذين يفهمونه[٣١٩].

كما أن الغرب قد قبل ادعاءات الروس الدعائية، ووصل إلى الافتراض بأن نظرات ماركس تتطابق مع الرؤية والتطبيق الروسيين[٣٢٠].

ولذلك كانت نهاية الاتحاد السوفيتي سببًا في موت الماركسية .. والحقيقة أن الماركسية تتميز بنفسها من حيث إنها طريقة (مزاج) Mode في التفكير، وفي التحليل، وفي النظرة الاشتراكية والأهداف الاجتماعية والسياسية وفي النظر إلى الشيوعية كحركة تاريخية[٣٢١]..

وهل النقمة على روسيا[٣٢٢] هي متجذرة – حقًا – في إطار مشاعر إنسانية وأخلاقية، أو أن الأمر لا يتعدى حقيقة اعتبار النظام، الذي تنتفي فيه الملكية الخاصة، نظامًا لا إنسانيًا ومثيرًا للحظر..

وهذا ما كتبه ماركس في رأس المال[٣٢٣] The capital ففي وقت ما كان هناك رد فعل الفكر الأوربي ضد الرأسمالية إلى فلسفة قائمة بذاتها .. وكانت هذه الفلسفة شكلاً جديدًا من أشكال الاستغلال، وقد عرفها ماركس بنفسه "بأنها تجرد ملكيات الذين يجردون الآخرين من ملكياتهم.. وقد زعم ماركس أن هذا الحل هو مقتضى التاريخ نفسه بل إنه حتمية من حتميات التاريخ.

ولذلك قال رسل عن ماركس "إنه ليس داعية إلى الثورة الاشتراكية، بل هو المتنبئ بها".

ويبدو –جليًا- تناقض المنتقدين للماركسية[٣٢٤] ويتمثل ذلك في حقيقة ان الأشخاص الذين يفهمون ماركس والمادية، هم أنفسهم الذين يتهمون الاشتراكية بانعدام الواقعية، لأنها لا تقر أن الدافع الفعال الوحيد الذي يدفع الإنسان للعمل، يتركز في ميله للربح المادي.

والسؤال كيف يمكن للفلسفة الماركسية أن تتطور، وهل هي منهج أم مذهب:

كيف يمكن لفلسفة ما أن تتطور والمفروض فيها أنها وسعت كل شيء من الإنسان إلى الطبيعة، إلى ما وراء الطبيعة موضحة كل الأساسيات والعموميات والمناهج والمعايير، والتي ليس على الناس إلا أن يتبعوها للوصول إلى الفرعيات والخصوصيات ببساطة علينا أن نتخلص من هذا الفهم للفلسفة. لكن ما البديل إذا أردنا للفلسفة ألا تتحول إلى مطبعة ملاحظات هنا وهناك لا يجمعها نسق واحد نظري.

قد يرى البعض البديل في أن تتخلى الفلسفة عن (المذهب) وتكتفي بالمنهج فمن الممكن ألا يتعارض ثبات المنهج مع تغير النظريات التي تصل إليها على أساسه، ألم تتغير الفيزياء من النظرية الكلاسيكية إلى نظرية الكم مع عدم تغير المنهج العلمي ..

أما البديل الحقيقي – الذي يطرحه المؤلف – هو ألا تتخلى الفلسفة عن المذهب[٣٢٥]..

كما يقال أن الماركسية باقية فقد ظهر مقال لينين (الماركسية والتحريفية) [٣٢٦] أن نمو الماركسية ونشرها وترسيخ أفكارها بين الطبقة العاملة يؤدي إلى تزايد حدة حملات البرجوازية ضد الماركسية، التي تصبح أكثر قوة وصلابة وقدرة على الحياة، بعد كل مرة يعلن فيها العلم الرسمي (القضاء عليها).

فقد ظلت الماركسية، طوال نصف القرن الأول من وجودها، منذ الأربعينات من القرن التاسع عشر تناطح النظريات التي ناصبتها العداء، ثم صفّى ماركس وانجلز حسابهما مع الراديكاليين من أنصار هيجل الجدد..

ويقال –أيضًا- أن الماركسية[٣٢٧] قد ماتت عند البعض من خلال أسوأ صفاتها وملامحها The worst Features في نظريتها الأصلية. وكان نجاحها –فقط- في الثورية، بينما أوربا وأمريكا كانوا من الاشتراكيين المتزمتين، على حين أن العالم الثالث أخذ بالماركسية اللينينية، التي أصبحت برنامجًا هامًا للقوميين، ولكن، في النهاية، لم تعد القوة والسلطة باقية كقانون للطبقات ومن هنا جاءت اهمية الماركسية الغربية western Marxism، التي تمثل دورًا هامًا في الوعي والشعور The role of consciousness.

إذن على الماركسية وجوب إعادة إنتاجها وفي النهاية وكما يقول توماس ليمكي[٣٢٨]. من المؤكد أن ماركس سيعود إلى الظهور يوما ما. ما أتمناه ليس بالضبط عملية رفع الزيف عن ماركس الحقيقي. أو إعادة وضعه في موقعه، بل تخفف الأثقال عن ماركس وتحريره من دوغمائية الحزب الذي أقفل، ولذلك يقول إتيان باليبار Etienne Balibar إن موقف فوكو تحول، خلال تطوره النظري، متنقلاً من قطيعة مع ماركس كنظرية إلى (حلف تكنيكي) يتَّسم باستخدام بعض مفاهيم الماركسية أو بعض المناهج المتوائمة مع الماركسية.

نتائج البحث

١-تساؤلات حول الماركسية والمادية

وإجابات ذات أبعاد واقعية

أ- هل هناك فلسفة تعيش على الفكر المحض دون أن تتنفس الحياة، ودون أن تشعر بالوجود الحي الديناميكي؟

ب- هل هناك فلسفة تحرك الجسد، ولا يكون للروح أي دور في انبعاث الجسد وتحريكه؟

ج- هل توجد فلسفة – ومهما حاولت أن تدعي – أنها تنظر إلى مقومات الحياة دون أن تلتفت إلى من يعيشها ويسكن فيها؟

د- هل يمكن العيش بدون قيم، والإنسان هو الممثل الأول للقيم الإنسانية التي أخذت صفاتها من صفاته، واستمدت وجودها من وجوده الثري وفكره العميق؟ وحتى إذا انقلبت منظومة القيم وتغيرت، فلا شك أنها، في الأصل، موجودة وبالتغيير معدلة وبالتطور محولة. أليس كذلك؟

وإنسان اليوم ليس كإنسان الأمس فقد تغيرت منظومة الحياة فأصبحنا بين الثابت والمتحول في حالة من التشتت التي تقترب من الفوضى المعرفية.

وسؤالي دائمًا هو سؤال الفلسفة السيال .. هل غابت القيم الإنسانية في الفلسفات المادية ومنها الماركسية.

الإجابة لا: لأنه مهما حاولت هذه الفلسفات أن تغلّب العقل، والمادة على الروح والوجدان، فهي –بالروح- تعيش، وبالقلب تنبض، وبالإحساس يكون الحبور والفرح أو الشقاء والألم.

هذا هو سؤالي الذي صهرني في بوتقته كثيرًا وجعلني أرفض (عن علم خاص بي) أن تكون المادية ضد الروحانية، أو أن يعيش الإنسان أحادي الجانب عقل ومادة بلا روح.

ومن هنا كان هذا البحث المتواضع عن قيم الأخلاق في الفلسفة المادية وتصوري أن الماركسية أوضح ما يمثل هذا الفكر.

لقد هزّت الماركسية العالم كلّه بتوجهاتها السياسية والدينية والأخلاقية والفنية.. إنها ذات طابع فريد، تعتمد على حماس إنساني شعبي فاستقطبت، بذلك الفكر، عددًا كبيرًا من الناس، وكأنها كانت المتنفس الإنساني له كتعبير صادق عما تتوقُ به نفوسهم من قيم العدل والمساواة والحرية والفردانية الموقرة ..

الإنسان في الماركسية: يعشق التغيير والنسبية، يفكر -خارج الصندوق- متفتحًا وليس منغلقًا، كاشفًا وليس مكشوفًا عنه، منحازًا للإنسانية كلها وطبقة البروليتاريا. وكأنّ إنسانَ الماركسية يوجه جملته إلى البروليتاريا المقهورة "انتظروني فقد جئت اليوم لإنقاذكم من براثن الرأسمالية المتوحشة".

٢-الأخلاق الماركسية رؤية على الجانب الآخر

(الأخلاق الموازية)

أ- الفلسفة الماركسية بانطلاقتها العنيدة والصادقة وتحدياتها المثمرة قد استطاعت أن تخلق أخلاقًا موازية للأخلاق التقليدية، رافضة -بشدة – كلَّ ما هو تقليدي بليد راديكالي غير متحرر، عاكسة للمفاهيم الاقتصادية والاجتماعية والعقلية في الحياة الإنسانية بمنظومة قيمية.

ب- إذا لم يكن للفلسفة الماركسية رصيد أكثر من الاهتمام بالكينونة الإنسانية، والانحياز المطلق للإنسان، إلى جانب العدالة الاجتماعية والتحرر الثوري والبعد الاشتراكي العميق فهذا يكفيها.
ولذلك وجدناها – عمليًا – تسعى لانعتاق الإنسان من أسر الإنسان، تقضي على العبودية ودونية الإنسان وعبودية المال للإنسان فهي فلسفة إنسانية من الطراز الأول.

ج- إذا كانت الأخلاق الماركسية مستوحاة من قيم عصرية تطورية، ترفع من شأن الإنسان بامتلاك أدواته الإنتاجية والمعرفية والقيمية فهي فلسفة جديرة بالاحترام ويكفيها فخرًا أن يكون نداؤها الدائم هو الحرية الفردية والاشتراكية، وحسن توزيع الثروة والانحياز المطلق للبروليتاريا وحقها في الحياة والكرامة الإنسانية والتقدم ..

د- يقول ميرلوبونتي في (فينومينولوجيا الإدراك) جملة هامة هي **"أن الفكر الذي يعيش لذاته، بدون الكلام لا يعيش حتى لذاته".**

ونحن نضيف أن الفكر، الذي يعيش لذاته، بدون كلماته وبدون تطبيقاته الحيوية، فيصبح الفكر المنطوق والمطبق. إنما هو لا يعيش لذاته ولا لكلماته .. إنه فاقد للوجود والحياة. وفي حالة الماركسية نجد العدالة – المساواة – المشاركة – النضال – البحث عن الأفضل، إذن فليست الفلسفة الأخلاقية الماركسية مجرد تنظير فلسفي لأحوال المجتمع الألماني أو الرأسمالي أو الاشتراكي، ولكنها فلسفة العمل والممارسة فهي لا تقوم –فقط- بنقد الظلم بل تعمل على إلغائه بتحرير المقهورين من البروليتاريا .. فهي فلسفة لا تبحث فيما هو كائن بل فيما ينبغي أن يكون.

- **الأخلاق والنضال**

إن فكرة النضال البروليتاري هي، في نظرنا، أسمى القدرات الأخلاقية وكأنها درجات الأخلاق. درجات النضال = درجات الأخلاق.

وذلك نرى أن عدمية الأخلاق الماركسية (كما يرى البعض) هو اعتراف صريح بالأخلاق الماركسية عن طريق الحذف والاستبدال، أي استبدال الأخلاق التقليدية بأخلاق نضال إنساني.

إن أخلاق النضال هي أخلاق البطولة والفداء إنها أخلاق تعلو فوق البساطة والسطحية (الخير – الشر – الفضيلة – الرذيلة) أنها الأخلاق النضالية، أخلاق الصمود والتحدي أخلاق تكافح من أجل الأفضل إنسانيًا وسياسيًا واقتصاديًا وإبداعيًا.

إنها تطرح –جانبًا- مقولات الأخلاق الجامدة لتستبدلها بما هو أرقى وأشبع لحاجات الإنسان سيكولوجيا واقتصاديًا، فهي تطعم الإنسان ثم تملؤه داخليًا بروح التفاؤل والاندماج وليس التشاؤم والاغتراب .. إن الماركسية تتركز على أمراضنا الاجتماعية وصورتنا الانعزالية وتحاول أن تجد الصورة المثلى للقضاء عليها.

وحين يمتلك الإنسان وسائل إنتاجه فقد امتلك ذاته وقوته وأصبح شريكًا فعالاً في العملية الاقتصادية يأخذ ويعطي فلا يخرج من مجتمعه بكوب فارغ تملؤها دموع الاحتياج والمعاناة فيفقد إنسانيته أمام توحش من لا إنسانية لهم .. وكيف نطالب من لا يمتلك شيئًا، إنه ساخط ينظر إلى المستقبل بعين الترقب والحزن وليس بعين الأمل والفرح. فهل يمكن أن نعلم هذا الإنسان كيف يفرح بوجوده في هذه الحياة التي ينقصها شيء واحد، فقط، هو الحياة نفسها .. إذن لا مفر من النضال لتحقيق الآمال في مجتمع مثالي وكأن الماركسية هي دعوة للنضال Strife وبالتالي للتضامن Soldierity.

يقول الشاعر الفرنسي بوالو: "إن ما تتمثله جيدًا، تأتي صياغته واضحة والكلمات التي تقولها تظهر فينا طائعة".

وهذا القول – عندنا – تنطق به الماركسية بجلاء. فقد تمثلت أفكارها وصاغتها وأطاعتها أفكارها في التطبيق.

- **الأخلاق والاقتصاد**

(إن البطن الجائعة ليس لها عقل).

- وإذا كانت هناك مقولة تؤكد ليس بالخبز وحده (أي بالمال) يحيا الإنسان فهناك قول آخر ليس بالفقر يعيش البشر فكيف يعيش إنسان في ظل الاحتياج والعوز.
ثم كيف نطالبه بالإبداع والخلق والتمرد من أجل الجديد بعد أن حجبت عنه احتياجاته اليومية إشراقة الشمس ونور القمر، فمنعت عنه الإبداع والفكر ليسير –بدونهما- كمن يدور في ساقية لا للحب لا للاحترام لا للاندماج وأهلاً بالكراهية وسوء التقدير والوحدة.
تلك هي أخلاق الإبداع، التي أرادت الماركسية أن تستبدلها بأخلاق الاقتصاد الرأسمالي المتوحش.
- لابد -إذن -من اقتصاد اشتراكي وهادف وشمولي، قادر على تحقيق تكافؤ الفرص وانتشال الإنسان من اغترابه وعزلته لاندماجية تجلب السعادة والخير واللذة.
- إنه التناغم مع ثقافة جديدة بأخلاق جديدة، تجعل من البناء الاقتصادي المتوازن صمام الأمان للعقل والروح. إنه التسامح الذي ينشأ من المساواة وحسن توزيع الثروة. إنه الأنا والآخر ليس بالمواجهة والصراع ولكن بالتلاحم والانصهار.
- إن الهدف الماركسي يتبلور في الخروج من الانحياز لِلقوىِّ صاحب رأس المال إلى الانحياز للفقراء المعدمين .. إنها قمة الأخلاقية، إنها ليست أخلاق انحيازية بقدر ما هي أخلاق مبدئية – إن صح التعبير . أي التي تقوم على مبدأ عِش من أجل الآخرين (ما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط).
يقول الشاعر الألماني جوته "إن العيش بدون الأخرين هو الانتحار الميتافيزيقي".
وسؤالي: كيف ينعم من يعيش في رغد العيش بل ولديه أكثر مما يحتاج والأخرون يعيشون وينامون في حالة من الفقر والقهر؟ سؤال يستدعي منا حديثًا قصيرًا من الضمير الأخلاقي..

- **الماركسية والضمير:**

الماركسية – عندنا – هي إيقاظ للضمير الإنساني وضربة بمطرقة من نار على رؤوس أصحاب الأموال والحكومات التي تشجع على الجشع والاستحواذ وجلد الفقراء بالغلاء من أجل إثراء الأغنياء .. إنها –بالفعل- سياسة العبث واللامبالاة .. رجال لم يدركوا قيمة الحياة إلا حياتهم الإنسانية .. إنها الإنسانية المطموسة في عالم سيطرت فيه أخلاقيات الغاب فغاب معها الضمير وقست القلوب.

- **الماركسية والدين منطلق إنساني**

حقيقي لا زائف

- مما يذكر للماركسية النظرة المختلفة للدين مستبعدة النظرة التقليدية الأسيرة، فالدين عندها هو الانفتاح والتحرر من غلبة البعض على البعض، الدين المتحرك مع تحرك العصر واختلاف الأحداث وديمومة الحياة.
- الماركسية تعالج أزمات الإنسان في عالم متغير لاهث مريض يشجب الاشتراكية من منطلقات هشه لا عقلانية ومن منطق واحد وهو أن الاشتراكية ضد التميز الإنساني، وضد الطبيعة، وضد الدين ومع الإلحاد والكفر (لأن الدين أفيون الشعوب) وهم أنفسهم صانعو الأفيون وموزّعوه.
- إن الماركسية لا تنظر إلى القشور بل تبحث عن المضمون. إنهم ينأون بأنفسهم عن ساحة الكفر والإلحاد – إن صحَّ ذلك التعبير – أما المزيفون فإنهم يقذفون بأنفسهم في أحضان عبودية الحاكم واستغلاله إنهم يقتربون من الدين. ولكنهم يبتعدون عن الإنسانية أي إنسانية الدين، الذي يحمل المعنى العميق للمساواة والعدالة والحرية والإخاء .. إنه الباطن الثوري للدين هؤلاء يتغافلون عنه كثيرًا، أو كأنهم يعيشون في عالم من الثنائية Dulaism.
- إذن فالماركسية لا ترفض الدين، ولا تضع شعارًا أن من يدخل من باب الماركسية عليه أن يترك الدين خارج هذا الباب، أي لا يكون متدينًا أو حاملاً لأي دين .. فهي أي الماركسية لا تقف عند هذه النقطة ..
- الماركسية لا تهتم بأن تكون متدينًا أم لا، لأنها لا تبحث إلا في جوهر الدين فقط، أي في المعاملات والأخلاقيات (الدين معاملة)، أما حين يستخدم البعض الدين كمدخل سياسي، أو كنوع من المسكّنات (كما قالت الماركسية – الدين أفيون الشعوب)، في هذه الحالة ترفض الماركسية الدِّين، الذي يجعل الإنسان في حالة استكانة وخضوع للأقوى، أي الدين كمخدر وأفيون لسلام داخلي مزيف في حين أن المشكلات ستظل باقية ولن تحل.

الماركسية ← تبحث عن الدين في قوته وانطلاقه الدائم.

السياسة والأخلاق من منظور جديد (متحرر وكاشف)

- كان لابد أن تنتقد الماركسية الممارسات السياسية، ذات الوجه المزدوج من ديكتاتورية الرأسمالية إلى ديكتاتورية البروليتاريا. وكأن الديكتاتورية هي قدر الإنسانية حيث التحول من الرحمة إلى العنف، ومن الديمقراطية (وبعدها الأخلاقي) إلى الديكتاتورية وعنفها الإنساني، فهل هذا هو قدر الشعوب، أم هو قدر فرضته السلطات اللعينة على شعوبها، إذن فالديمقراطية والعدالة وتبادل السلطة هي خطة للعمل في المجتمعات الاشتراكية (أو هذا ما ينبغي أن يكون) .. إذن فعلينا بوضع تكنيك للتطبيق من حيث خطواته وآلياته، وإلا فمصير هذه الديمقراطية هو العبث واللاجدوى .. إذن فالماركسية تبحث عن إنسان منخرط في العملية السياسية فعال ومنفعل وقادر على التغيير.

• المطلق والنسبي في الأخلاق الماركسية

- لا يغيب عن الأذهان أسس التشكيل القيمي للماركسية بين المطلق والنسبي .. ومن المعروف عن الماركسية أنها ذات طابع حركي ديمومي فهي صيرورة من الكم إلى الكيف ومن الرأسمالية إلى الاشتراكية .. إيمان دائم بالتطور الذي يقلب التربة الاجتماعية، حتى تسقط الرأسمالية في القاع وتطفو الاشتراكية على السطح، فهي بمثابة التصالح الإنساني مع الواقع المنحاز إلى الإنسان والليبرالية.

٣- أحلام ماركسية في ضوء عالم متقلب

(مشروع مستقبلي)

١- إن المشروع المستقبلي للماركسية يتطلب منا النظرة الجديدة للكون، ووضع منهجية لتطبيقها على الواقع الراهن، بل أيضًا بالمراهنة على استمراريتها في المستقبل.
إنه المستقبل الزاخر بالحرية والعدالة، القادر على قهر ظلم الطبقة الحاكمة، إنه عدالة التوزيع، وليس غزارة الإنتاج لصالح طبقة معينة، وهنا تبدو بجلاء إنسانية الماركسية (إنسانية إلى أبعد حد).

٢- إنها مرحلة جديدة من مراحل التطور الذهني عبر منظومة لا تتعارض مع النسق قدر ما تتواءم مع التثوير والتنوير الفعلي لأفراد المجتمع، وهنا ينبغي التعامل مع التطور وصراع الأضداد بشكل أكثر انفتاحية.

إذن لا يمكن النظر إلى الماركسية، وخاصة في جانبها الأخلاقي، على أنها مذهب أخلاقي متكامل في كل شيء (لا) ولكن ننتظر أن تكون منهجًا ورؤية في التفكير (نعم) وهي مصحوبة بالتفعيل.

٣- إن الماركسية حالة اجتماعية متوالية بعد ذلك، فهي أشبه بمتوالية هندسية .. ثمار وخصوبة، موجة وراءها موجة أخرى في سلسلة لا تنتهي من التطور .. إذن الماركسية، كما نرى، منهج لا مذهب – نسبية لا مطلقة، علمية كما أن عالمها منظور، ديالكتيكية بشكل دائم مع الطبيعة.

٤- إذن، وبناء على ما سبق، يحدث الآتي:

أ- زيادة الاختلافات في الآراء حول الماركسية.

ب- هجوم عليها من زاوية دوجماطيقية.

ج- تأييد لها من زاوية ليبرالية متفتحة.

د- قدرتها على إقامة علاقة دائمة مع كل واقع وكل تطور.

٥- إذن ستبقى الماركسية –دائمًا- هي سؤال المغامرة عن أخلاق المغامرة، أخلاق النضال والكفاح، أخلاق مدفوعة الثمن قبل إحراز الهدف. اخلاق ضد الانحراف والاستغلال. إنها الهدف والمصير في مرحلة حاسمة لا ينبغي فيها التردد، ففي التردد خيانة، وهل يمكن التردد بين أن أكون أولا أكون (إنسان أم سحق تحت الأقدام) إنه مبدأ الإنسانية واحترام الكينونة.

٦- حلم الماركسية هو الدعوة للحرية وفتح النوافذ المغلقة والتفتح على الأشياء والوجود وشحذ الهمم، والمطالبة بوجود إنساني يليق بالإنسان، دعوة بلا أفق محدود لتحقيق الآدمية في مجتمعات رفضت الآدمية لكل البشرية في حين تقبلتها فقط لبشر بعينهم، فكسرت أنف الوجود الإنساني المتحقق والفعلي.

٧- نعلم جيدًا أننا أصبحنا مجرد شيء في هذا العالم، ولكن الحقيقة أن الماركسية قد صدمتنا بهذه الحقيقة التي لا نريد مواجهتها، رغم أننا نعايشها، فقد أحببنا الوهم لأنه يبعدنا عن الحقيقة المفزعة، وهو أننا مجرد أشياء في الطبيعة يحركها الغير بلا هوادة ولمصلحته هو.

ومن هنا كانت الدعوة الثورية للماركسية من أجل عالم أفضل لا نكون فيه شيء بل نحن العالم كله بأشيائه المختلفة.

٨- إن آراء الماركسية هي طرح معاينة دقيقة والشروع الفعلي في تطبيقها والثقة في المأمول والمستقبلي على أساس بناء قوي متوازن يقضي على الصراع الطبقي، إنها أرض الرفاهية والمساواة وليس الفقر والتمييز.

وكأن الماركسية تحقق أفضل ما في الكوجيتو الديكارتي من إنسانية ووجودية .. فلا تقف الماركسية عند مستوى التفكير والوجود، بل تصل بنا إلى مستوى أنا موجود إذن لي حقوق اقتصادية كاملة، فأنا في حالة شراكة دائمة مع الآخرين.

٩- إن الماركسية تحلم وتحلم بمجتمع السيميترية والتوازن الإنساني في مقابل مجتمع الفوضى في المأكل والمشرب والجنس. مجتمعها مجتمع النظام والعقلانية حتى في إشباع الحاجات الأساسية، فالإنسان هو العقل والشعور والضمير وهذا هو الفرق بين الإنسان والحيوان، ذات تعقل ما تريد، وذات لا تعقل ما تريد (مجتمع الإنسانية ومجتمع الغاب) هذا المجتمع الماركسي الذي يتلاحم مع طبقة البروليتاريا التي تقع – في نظرنا – في موقع القلب من التفكير الماركسي الأخلاقي.

١٠- وأخيرًا – وبما أنها دراسة قائمة على النقد لبلوغ الأكمل والأفضل فنحن نرى أن الماركسية – للأسف – لم تكرس أفضل أساتذة الاقتصاد السياسي من الليبراليين وعلماء الاقتصاد المحلي والعالمي لصياغة بناءٍ اقتصاديٍّ متكامل ولائقٍ وقادر على المواجهة الدائمة بعدم وجود ثغرات فيه.

إلى جانب الاستعانة بعلماء الاجتماع وعلماء النفس وعقول قادرة على التفلسف والتنظير .. إنها الخطط العقلانية والمتكاملة التي تشكل أفضل مجتمع ممكن عن طريق الاستخدام الأمثل والأكمل لكافة الموارد والإمكانات المادية للبشرية، إلى جانب وضع حلول وبدائل متعددة تنبئنا بما سوف يحدث في المستقبل من تغيرات في الهيكل الاقتصادي والمنظومة الاجتماعية.

٤- استنتاجات

الماركسية بين الحقيقة والزيف

بين الواقع والشعارات

الماركسية بلا دين – الاشتراكية غياب ومحو للفردانية – الاشتراكية تؤسس الأخلاق على القيم الاقتصادي (المادية فقط).

أنها حقًا مفاهيم مغلوطة عن الماركسية لا تبحث في عمق الفلسفة الماركسية قدر ما تقف عند حدود الشكل الخارجي لها، أو الصورة التي يريد الآخرون تصديرها إلينا ومنها (موت الأخلاق في الماركسية وقتل الدين بتعاطي

الأفيون) عامة هؤلاء المروّجون هم، في الحقيقة، المستفيدون من الرأسمالية هؤلاء هم الطغاة الذين ينظرون إلى إنسان اليوم المطحون المرهق ثم يديرون ظهورهم عنه باشمئزاز. فهو –عندهم-إنسان من الدرجة العاشرة.

وأخيرًا يأتي سؤالنا؟ هل يمكن للفكر أن يموت؟

الفكر لا يموت مهما اختلفنا أو اتفقنا معه .. بل فقط يمكننا استدعاء أفضل ما فيه، ولا نتوقف عند هذه المرحلة بل نتجاوزها إلى مجادلة ونقد شامل لأسوأ ما فيه تلك هي الفلسفة النقدية الواعية باللحظة التاريخية.

الهوامش

(١) طرابيشي، جورج: معجم الفلاسفة – دار الطليعة للطباعة والنشر – ط١ – بيروت – ١٩٨٧ – ص ص٥٧١: ٥٧٦.

وأيضًا:

- Manuel, Frank. E: Arequiem for karl Marx- printed in the united states of America – second printing – 1997 p.p. viii: xi – 4, 5.

فقد كانت أفكار وانجلز متطابقة إلى حد بعيد وفي علاقة دائمة مع نظرياته في الصراع الطبقي والاستراتيجية الثورية واليوتوبيا. وكان لا يعتمد كثيرًا على أبنية العقلانية وقد اشتهر ماركس وإنجلز بالتهكم والسخرية irony.

- Somer ville, John: The philosophy of Marxism – An Exposition – Random house – first printing – New york – ١٩٦٧. P. prefance.

ويتحدث المؤلف عن صعوبة أن نفهم العالم في القرن [٢٠] دون فهم ماركس وأعماله مثل فرويد أو داروين لكي نفهم أن وقتنا هذا مختلف عن أزمنة أخرى ويتناول هذا الكتاب المبدأ الشائع للماركسية ومصطلحات الفلسفة النظامية Systematic philosophy لاجتياح سوء الفهم الذي تعلق بالطلاب والقراء للأعمال الماركسية.

- Carver, Terrell: Marx- Cambridge university press. 1991. P.p. 1: 14.
- Reading Marx: life and works (Terrell carver). كاتب المقال:

- إبراهيم، عبدالفتاح: الاجتماع والماركسية – دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت – دت.

ص ص١٨٠: ١٨٣.

(٢) فروم، إريك: مفهوم الإنسان عند ماركس – ترجمة محمد سيد رصاص – دار الحصاد للنشر والتوزيع – ط١ – سوريا ١٩٩٨ – ص ص١٠١، ١٠٢.

(٣) المصدر السابق: ص ص١٠٢: ١٠٤.

(٤) فتحي، إبراهيم: الماركسية وأزمة المنهج – دار النهر للنشر والتوزيع – ط٢ – القاهرة – ١٩٩٤ – ص٧.

(*) إنجلز، فردريك Engels, Frederick ١٨٢٠-١٨٩٥ زعيم البروليتاريا وكون مع ماركس المذهب الماركسي أي نظرية الشيوعية العلمية، ونظرية المادية الجدلية والتاريخية ومنذ شبابه سعى إلى المساهمة في الكفاح من أجل تبديل العلاقات الاجتماعية القائمة.

روزنتال & يودين: الموسوعة الفلسفية – ترجمة سمير كرم – دار الطليعة – ط٤ – بيروت – ١٩٨١ – ص ص٥٦: ٥٨.

ومن أهم مؤلفاته لودفيج فيورباخ – الرد على دوهرنج – جدل الطبيعة وقد نقد انجلز في الكتب الثلاثة النزعات المثالية وأقام مذهبه المادي الجديد معدلا لجدل هيجل واشترك مع ماركس في صياغة البيان الشيوعي المشهور الذي يبدأ بعبارة (يا عمال العالم اتحدو).

- ماركس، كارل: الأدب والفن والاشتراكية – ترجمة عبدالمنعم الحفني – مكتبة مدبولي – ط٢ – القاهرة – ١٩٧٧ – ص٧.

- إبراهيم، عبدالفتاح – الاجتماع والماركسية – مصدر سابق ص ص١٨٠: ١٨٣.

(*) في هذا القول منتهى التواضع من ماركس مما يكشف عن إيمانه المطلق بالإنسانية أكثر من اهتمامه برد الأفكار إلى جذرها الحقيقي وهو (ماركس).

(٥) فتحي، إبراهيم: الماركسية وأزمة المنهج – مصدر سابق – ص١٧.

(٦) حنا، جورج: ضجة في صف الفلسفة – دار العلم للملايين – ط٢ – بيروت – ١٩٥٢ – ص١٧.

(٧) ستيبانوفا: كارل ماركس – سيرة حياة – ترجمة إسكندر ياسين – دار التقدم – موسكو – ١٩٧٩ – ص ص٣٤٨، ٣٤٩.

(٨) النشار، مصطفى: فلاسفة أيقظوا العالم – روابط للنشر وتقنية المعلومات – ط٧ – القاهرة – ٢٠١٦ – ص٣٤٨.

(9) Carver, Terrell: Marx – op. cit p.p. 108-124: ١٢٥.

(١٠) بليخانوف: القضايا الأساسية في الماركسية – ترجمة حنا عبود – دار دمشق للطباعة والنشر – دمشق – د.ت – ص ص٨: ١١.

(11) Marx & Engels: Manifesto of the communist party – foreign languages press peking – third printing – 1977- p.p. 31: 62.

(١٢) لاكروا، جان: نظرة شاملة على الفلسفة الفرنسية المعاصرة – ترجمة يحيى هويدي – دار المعرفة – القاهرة – د.ت – ص١٣٢.

(١٣) ماركس، كارل: بؤس الفلسفة – ترجمة حليم اليازجي – بيروت – د.ت – ص ص٢٥، ٣١، ٦١، ٦٢.

(١٤) ستيبانوف: كارل ماركس – مسيرة حياة – مصدر سابق – ص ص٥٤: ٥٧.

(*) وهنا يجب الرجوع إلى الدفاتر الفلسفية philosophical Notebooks التي دون عليها لينين فقرات مطولة نسخها لينين ١٩١٤-١٩١٦ من مؤلفات فلسفية وتحتوي الدفاتر على تلخيصات للكتب التالية – العائلة المقدسة لماركس وانجلز – محاضرات في جوهر الدين - فيورباخ – علم المنطق – محاضرات في فلسفة التاريخ لهيجل – فلسفة هيرقليطس للاسال – الميتافيزيقا لأرسطو.

انظر:

روزنتال & يودين: الموسوعة الفلسفية – مصدر سابق – ص١٩٥.

(١٥) هيكل، مصطفى: خلاصة رأس المال لكارل ماركس – مطبعة التوكل – مصر – ١٩٤٧ – ص ص٣٨: ٤٨.

(١٦) غوربونون، ف.ف: في الثقافة – ترجمة يوسف خلان – دار الفارابي – ط١ – بيروت – ص٣٤.

وكان يسمى كتاب رأس المال capital عمل حياة ماركس حتى وفاته ونشر المجلد الأول ١٨٦٧ والمجلدان الآخران بعد وفاته.
وقد مكنه البحث العلمي من أن يتبين كيف أن فائض القيمة هي حجر الزاوية في الاقتصاد السياسي.
انظر: روزنتال & يودين: الموسوعة الفلسفية – مصدر سابق – ص٢٢٣.
وهو كتاب مذهبي – كما قال البرت اشفيتسر – يعتمد على التعريفات والجداول لكنه لا يتعمق في مسائل الحياة وأثره الكبير يرجع إلى دعوته إلى الإيمان بالتقدم الكائن في باطن الأحداث ويتفاعل معها.
انظر: اشفيتسر، البرت: فلسفة الحضارة – ترجمة عبدالرحمن بدوي – دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع – ط٣ – ١٩٨٣ – ص٢٨٤.
([١٧]) طاطاو، الشريف – نقد سلطة رأس المال (روجيه غارودي نموذجًا) – سلطة الثقافة – الجمعية الفلسفية المصرية – مركز الكتاب للنشر – ط١ – القاهرة – ٢٠١٣- ص٢٨١.
([١٨]) روزنتال & يودين: الموسوعة الفلسفية – مصدر سابق – ص٢٢٤.
([١٩]) فتحي، إبراهيم: الماركسية وأزمة المنهج – مصدر سابق – ص٢١.
([٢٠]) كامنكا، أوجين: الأسس الأخلاقية للماركسية – ترجمة مجاهد عبدالمنعم مجاهد منشورات – دار الآداب – ط١ – ١٩٧١ – ص٤٤.
([٢١]) المصدر السابق: نفس الصفحة.
([٢٢]) سارتر، جان بول: المادية والثورة – منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت- ١٩٨٠ – ص١٦.
(*) والسؤال ما هي الثورة بوجه عام؟
١- في الطبيعة ← كل بركان يتفجر وكل زلزال يقلب وجه الأرض من حال إلى حال هو ثورة.
٢- في العلم ← كل اكتشاف أو اختراع يقلب القواعد المعروفة رأسًا على عقب هو ثورة – اكتشاف كوبرنيقوس لدوران الأرض واكتشاف باستور للطفيلية الجرثومية هي ثورة.
٣- في السياسة والاجتماع ← كل حركة راديكالية لإزالة ظلم الحكام ورفع الطغيان وتغيير الأسس هو ثورة. انظر:
حنا، جورج: ضجة في صف الفلسفة – مصدر سابق – ص٢٨.
([٢٣]) لينين: فتنة البرجوازية الصغيرة – دار الثقافة الجديدة – القاهرة – ١٩٨٧ – ص ص٦-٧.
([٢٤]) فروم، إريك: مفهوم الإنسان عند ماركس – مصدر سابق – ص٣٩.
([25]) kithching, Gavin: karl Marx and the philosophy of praxis – Routedge – London – Newyork- p.p. 120-121.
([26]) Roger: Marxism – 1844 – 1990 – origins, betrayal, rebirth – Routledge – New york – London – 1992 – p. ix.
انظر أيضًا:

- Carver, terell: Marx. Op. cit. p.p. 55: 105.

([٢٧]) ياسبرز، كارل: عظمة الفلسفة – ترجمة عادل العوا – منشورات دار عويدات – بيروت ١٩٨٨.
([٢٨]) طرابيشي، جورج: معجم الفلاسفة – مصدر سابق ص٧٧٥.
([٢٩]) بدوي، عبدالرحمن: الموسوعة الفلسفية – جـ٢ – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – ط١ – بيروت – ١٩٨٤ – ص٤١٨.
- Hawkes, David: Ideology – Routlege – First published – London and New york – 1996 – p. 88.
- Makdisi, Saree (Editied by) – Marxism beyond Marxism – Routledge – New york – London – 1996 – p. 1.

ويأتي هنا ذكر العديد من المقالات المختارة في البحث عن كنه الماركسية مع دراسة للأشعار والقصائد المكتوبة في مقدمة الثورة الصناعية منذ القرن التاسع عشر.

([٣٠]) بليخانوف: القضايا الأساسية في الماركسية – مصدر سابق – ص٣.
وأيضًا:
- Morris, pan; Realism – Routledge – First published – London New york – 2003. P. 167.

([31]) Northrop: The meating of East and west, an inquiry concerning world understanding – New york – 1946 – p. 221.
([٣٢]) لينين: الدفاتر الفلسفية – جـ١ – ترجمة إلياس مرقص – دار الحقيقة – ط٢ – بيروت – ١٩٨٣ – ص١٠٣.
([٣٣]) المصدر السابق: ص٢٧.
([٣٤]) المصدر السابق: ص٨٣.
([٣٥]) المصدر السابق: ص٤١.
([36]) Rogar: Marxism – 1844 – 1990 – op. cit. p.p. 110-111.
([٣٧]) هنت، كاريو: الشيوعية نظريًا وعمليًا – دار الكتاب المصري – د.ت. – ص٤٢.
وأيضًا:
- Mcbride, William: The philosophy of Marx – Hutchinson of London – p. 21.

([٣٨]) فروم، إريك: مفهوم الإنسان عند ماركس – مصدر سابق – ص٦.
([39]) Afanasy, v: Marxist philoso[hy – progress publishers – Mosco – 1968 – p.p. 13: 18.
([٤٠]) طرابيشي، جورج: سارتر والماركسية – منشورات دار الطليعة – ط١ – بيروت – ١٩٦٤- ص٣٤.
([٤١]) لوفيفر، هنري: أزمة الماركسية الراهنة – تعريب ألبير منصور – دار الطليعة للطباعة والنشر – ط١ – بيروت – ١٩٦١ – ص٢٣٣.
([٤٢]) الحريري، علي عبدالمجيد: فلسفة الفوضوية – دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع – ط١ – ٢٠٠٢ – ص١٣.

(٤٣) عبدالكريم، محمد الغريب: السيسيولوجيا الراديكالية – دراسة نقدية تحليلية في النظرية الماركسية – المكتب الجامعي الحديث – الإسكندرية – ١٩٨٨ – ص١٤.
وأيضًا:

- Hawkes, David: Ideology – op.cit. p. 91.
- Elster, John: An introduction to karl Marx – Cambridge university press – New york – 1990 – p. 194.
- Stace. W.t.: the philosophy of Hegel –Asystematic Exposition – Dover publication – Inc. – First published – 1955 – p.I: 31.
- Kitching, Gavin: karl Marx and the philosophy of praxis – op. cit. p.p. 7: 9.
- (Marx - Hegel, Feuerbach, and the philosophy of praxis).
- فتحي، إبراهيم: الماركسية وأزمة المنهج – مصدر سابق – ص ص١٩، ٢٠.

(٤٤) لينين، فلاديمير: مصادر الماركسية الثلاثة – دار التقدم – موسكو – ١٩٧٥ – ص ص٦: ١٤.

- Morris, pan: Realism. Op. cit. p.p. 5: 13.
- عبدالمعطي، علي: الفكر السياسي الغربي – دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع – الإسكندرية، ١٩٩٢، ص٤٠١-٤٠٢.

(٤٥) عبدالكريم، محمد الغريب – السسيولوجيا الراديكالية – دراسة نقدية تحليلية في النظرية الماركسية – مصدر سابق – ص٥٩.
وسوف نقوم بعرض هذه العناصر الثلاثة فيما بعد.

(٤٦) هنت، كاريو: الشيوعية نظريًا وعمليًا – مصدر سابق – ص٢٤.

(٤٧) عبدالكريم، محمد الغريب – السسيولوجيا الراديكالية – دراسة نقدية تحليلية في النظرية الماركسية – مصدر سابق ص١٠.

(٤٨) حماد، حسن: آفاق الأمل – دار الثقافة للنشر والتوزيع – القاهرة – ١٩٩٩ – ص٦٧.

(49) kitching, Gavin: karl Marx and the philosophy of praxis .. op. cit. p.151: 155.

* الأيديولوجية Ideology هي مجموعة أفكار ونظريات اجتماعية تشكل نظامًا متكاملاً تعبر عن المصالح الحيوية لطبقة أو طبقات معينة فالأيديولوجية ليست ثمرة للنشاط الروحي لهذه الطبقة أو تلك ولكنها إحدى الوسائل التي تلعب دورًا في تشكيل الوعي لدى الناس الذين ينتمون إلى هذه الطبقة التي تنطق باسمها هذه الأيديولوجية.
وقد أصبحت (الماركسية) الايديولوجية الوحيدة للطبقة العاملة لأنها الأيديولوجية المعبرة عن مستقبل التقدم البشري عامة وهي الأيديولوجية القائمة على أسس موضوعية علمية دقيقة والأيديولوجية تقوم على أسس سياسية فالسياسة في المجتمع الطبقي تقتحم القانون والأخلاق والعلم والفن والفلسفة والدين.
انظر:
ريابوف، ف: الفن والأيديولوجية – ترجمة خلف الجراد – دار الحوار للنشر والتوزيع – ط١ – سوريا – ١٩٨٤ – ص ص٣، ٤.

وأيضًا:

- Hawkes, David: ideology – op. cit. pp. 1-2.

(٥٠) زكريا: فؤاد: آفاق الفلسفة – دار التنوير للطباعة والنشر –ط١ – بيروت – ١٩٨٨ – ص ص٢٧٣، ٢٧٤، ٣٣٥.

(٥١) هنت، كاريو: الشيوعية نظريًا وعمليًا – مصدر سابق – ص ص٢٤، ٢٥.

(٥٢) عبدالكريم، محمد الغريب – السسيولوجيا الراديكالية – دراسة نقدية تحليلية في النظرية الماركسية – مصدر سابق – ص٧٠.

وأيضًا:

Hawkes, David: ideology – op. cit. p. 73.

(53) Northrop: The meating Of East and west – op. cit. pp. 228-229.

أيضًا:

حنا، جورج: ضجة في صف الفلسفة – مصدر سابق – ص ص١٤: ١٦.

(٥٤) وهبة، مراد: المعجم الفلسفي – دار الثقافة الجديدة – ط٣ – القاهرة – ١٩٧٩ – ص ص٤٦٤: ٤٦٦.

وأيضًا:

- Morris, pan: Realism – op. cit. p.p. 1:6 – 131.
- حيث يأتي الحديث عن ما هي الواقعية والواقعية وأزمة المعرفة what is Realism? Realism and the crisis of knowledge.
- كلينجندر، ف.د: الماركسية والفن الحديث (مدخل إلى الواقعية الاشتراكية) ترجمة إبراهيم فتحي – النجاح الجديدة – الدار البيضاء – ١٩٨٩ – ص ص٦٠: ٩٧-٨٩، ٩٠.
- حيث يتحدث عن الواقعية في الفن واستخدامها من خلال أشعار تنسون الذي يقول:

أيها الكتّاب – يا صانعي المقالات، يا ملاحدة يا روائيون، واقعيون، يا نظامون يا مختلقي القوافي، قوموا بأدواركم.

أفصحوا عن عار الطبيعة الذي يحمل الموت على جبينه بألوان الفن وظلاله الحية.

مزقوا الستار عن آثار الأشقاء انزعوا الثياب عن أهوائكم الوضعية.

-لاكتمان ولااحترام، ليسقطا معًا – سيروا إلى الأمام عرايا – دعوا الآخرين يحملقون في عريكم إلى الأمام، إلى الأمام، وإلى الوراء، إلى أسفل أيضًا في أعماق الهوة.

كما ظهرت الواقعية الاجتماعية في الأدب Socialist Realsim in Literature وهي تخلق الوحدة بين النظرية والممارسة وهي تسير في اتجاه تطور العلم السوفيتي Soviet Science وكتاب الاتحاد السوفيتي وعلى رأسهم جوركي Gorky انظر:

- Guest, David: lectures on Marxist philosophy – London. Lawrence & wishart. L.T.D. p.p. 74: 83.

(٥٥) حلو، شارل (تقديم): موسوعة أعلام الفلسفة جـ٢ – مراجعة جورج نخل – دار الكتب العلمية – ط١ – بيروت – ١٩٩٢ ص ص٢٠٧: ٢١١.

هو فيلسوف وعالم اجتماع ألماني من أب اشتهر كأستاذ للقانون درس اللاهوت في هان لبرغ وتتلمذ على يد هيجل وانضم إلى جماعة اليسار الهيجلي الثائر على الدولة والكنيسة، ومن مؤلفاته أفكار عن الموت والخلود ١٨٣٠ – تاريخ الفلسفة الجديدة ١٨٣٦ – ١٨٤١ – نقد الفلسفة الهيجلية ١٨٣٩ ثم ابتعد عن فلسفة هيجل لأنها لم تستطيع حل مشكلة الاختلاف بين الإنسان وتجاربه وأنها بقيت بعيدة عن عالم الواقع وأكد أن الحواس التي احتقرها الفلاسفة هي التي تؤدي إلى بلوغ الحقائق الفلسفية.

أما النقد الديني: فقد كان حول فكرة محورية هي فكرة التغريب Alienation وهي فكرة التعالي Transcendance دون غيره كما أن الاحتقار والإيمان بالعناية الإلهية يدفع إلى احتقار التقدم المادي. كما يعتقد فيورباخ أن الدين أساء إلى الحب فالدين يشكل عقم للتقدم المادي والأخلاقي في العصر الحديث.

([56]) Northrop: the meating of East and West – op. cit. p. 225.

([٥٧]) ستالين، يوسف: المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية – دار دمشق للطباعة والنشر – دار ابن سينا – بيروت – د.ت – ص١٨.

وأيضًا:

- Somerville, John: The philosophy of Marxism – op. cit. p.p. 3: 80.

- ويعالج فيه المادية الديالكتيكية والمنطق والديالكتيك.

1- The nature of reality: Dialecitcal Materialism.

2- The nature of thought: logic and Dialectics.

- Hawkes, David: Ideology – op. cit. p. 88.

([٥٨]) النساج، سيد حامد: حول الفكر الاشتراكي – دار النهضة الحديثة – القاهرة – د.ت – ص١٧٥.

وأيضًا:

- Elster, John: An intreoduction to karl Marx – op.cit. p.p. 34: 36.

([٥٩]) كالفيز، جان إيف: كارل ماركس – جـ٢ – ترجمة سهيل إدريس – المكتبة الكاثوليكية – بيروت – ١٩٥٦ – ص٤٢.

([60]) Guest, David: lectures on Marxist philosophy op. cit. p.p. 29: 30.

([٦١]) إبراهيم، عبدالفتاح: الاجتماع والماركسية – مصدر سابق – ص١٨٧.

وأيضًا:

- Guest, David: Lectures On Marxist philosophy – op. cit. p.p. 27-82.

حيث يأتي الحديث عن المادية المبكرة التي بدأت بسؤال هو: ما هي المادة الأولية للكون؟ What is the primary stuff of the universe?

وهو سؤال يرجع إلى بواكير الفلاسفة اليونان وخاصة الماديون والطبيعيون الأوائل فقد اعتقد طاليس Thales أن الجوهر الأولي praimary substance هو الماء نرى انكسمندر Anaximander تحدث عن مجموعة من العناصر مكون للكون. والملاحظ في النهاية في

حالة انكسمندر كيف يمكن لنا أن نكتشف قوة مادية العالم وخاصة للتأمل العلمي Scientific speculation مما أدى إلى وجود نظرية تطور جديدة إلى جانب المفكرين الماديين الكبار فظهر لوقيبوس وديمقريطس والمأصّلون للتصور الذري atomic conception ثم ظهر بعدها أرسطو الذي يبحث عن المضمون المادي الأساسي للأشياء.

(٦٢) لينين: الدفاتر الفلسفية – جـ٢ – ترجمة إلياس – مرقص – دار الحقيقة – ط٢ – بيروت – ١٩٨٢ – ص٧١.

(*) توجد معالجة موضوعية للعلاقة بين المنطق والديالكتيك والتناقض Logic-dialectic-contradiction.

انظر:

- Carver, terell: Marx: op. cit pp. 275.

- وأيضًا:

- Guest, David: lectures on Marxist philosophy – op. cit. p.p. 82: 84.

(63) A Fanasy, v. Marxist philosophy progress publisher- Moscow – 1968 p.p. 15:18.

وأيضًا:

- Northrop: The meating of East and west – op. cit. p. 247.

(٦٤) ستالين، يوسف، المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية – مصدر سابق – ص٤١.

(65) Afanasy, v: Marxist philosophy- op. cit. p.p. 93: 128.

(٦٦) فروم، أريك: مفهوم الإنسان عند ماركس: مصدر سابق – ص١٧.

(٦٧) روزنتال & يودين: الموسوعة الفلسفية – مصدر سابق – ص٤٢٨.

وأيضًا:

- Kitching, Gavin: karl Marx and the philosophy of praxis op. cit. p.p. 61: 64-90: 93.

حيث نجد معالجة للمادية الاقتصادية الماركسية ونقدها من قبل البعض.

(68) Guest, David: lectures on Marxist philosophy – op. cit. p. 28.

(69) Ibid. p. 27.

(٧٠) يوسف، أبو سيف: حول الفلسفة الماركسية – دار القرن العشرين – القاهرة – د.ت. – ص٧: ٩.

وأيضًا:

- Afansy, v.: Marxist philosophy – op. cit. p.p. 21: 24-31: 35.

(71) kitching, Gavin: karl Marx and the philosophy of Praxis – op. cit. p. 61: 64.

(٧٢) النساج، سيد حامد: حول الفكر الاشتراكي – مصدر سابق – ص ص١٦٩: ١٧٧.

وأيضًا:

-Guest, David: lectures on Marxist philosophy. P.p. 47: 49.

(٧٣) النشار، مصطفى: فلاسفة أيقظوا العالم – مصدر سابق – ص٣٥٠.

([74]) Rogar: Marxism – 1844 – 1990 – orgins, betrayal, rebirth – p.p. 40-41.

([٧٥]) فروم، إريك: مفهوم الإنسان عند ماركس – مصدر سابق – ص٤٨.

([٧٦]) المصدر السابق: ص٤٣.

(*) إذا أردنا موازنة ماركس وفرويد من الزاوية القيمية على الرغم من تعارضهما أمكننا القول أنهما يتفقان على اعتبار أن مصدر القيم هو الأنا الدنيا أي الـ (هو) أو الليبيدو، في نظر فرويد والبنية التحتية في نظر ماركس وهذا الينبوع القيمي يلقى رقابة كبت فيحول بالتصعيد إلى إسقاط في قيم مثلى هي قيم الأنا العليا عند فرويد ويتحول عند ماركس بالثورة والصراع الطبقي إلى قيمة وحيدة عليا هي (المطلب الشيوعي) للقضاء على الاغتراب وتحرر العامل.

انظر:

العوا، عادل: العمدة في فلسفة القيم – دار طلاسي للدراسات والترجمة والنشر – ط١ دمشق – ١٩٨٦ ص٦٣٨.

([٧٧]) فروم، إريك: مفهوم الإنسان عند ماركس – مصدر سابق – ص٥٢.

([٧٨]) خرطبيل، سامي: الوجود والقيمة – دار الطليعة للطباعة والنشر – ط١- بيروت – ١٩٨٠ – ص١١٥.

([٧٩]) كالفيز، جان ايف: كارل ماركس – مصدر سابق – ص ص٦٦، ٦٧.

([٨٠]) قثلجملي، حكمت: الجدل أو الديالكتيك ماديًا – ترجمة عن التركية فاضل حتكر – مكتبة المادية التاريخية – ط١ – ١٩٧٥ – ص ص٦: ٩.

وأيضًا:

اشفيتسر، البرت: فلسفة الحضارة – مصدر سابق – ص د. ز.

([٨١]) كامنكا، أوجين: الأسس الأخلاقية للماركسية – مصدر سابق – ص٢٧.

([٨٢]) لينين: مرض اليسارية الطفولي في الشيوعية – دار التقدم – موسكو – ١٩٦٧.

([٨٣]) خرطبيل، سامي: الوجود والقيمة – مصدر سابق – ص١٧٠.

([84]) Makdisi, Sareec (Edited by): Marxism beyond Marxism – op. cit. p.p. 150-151.

([85]) Elgar, Edward: Marx and Non Equilibrium Economics – op. cit p.p. 1-29-77.

([٨٦]) توني، ر. هـ: المجتمع المستغل – ترجمة محمد أمين إبراهيم – المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر – ١٩٦٢ – ص٣٥.

([٨٧]) طاطاو، الشريف: نقد سلطة رأس المال (روجيه جارودي نموذجا – سلطة الثقافة – مصدر سابق ص٢٨٢.

([٨٨]) المصدر السابق: ص٢٩٣.

وأيضًا: بورر، جون & جولدينجر، ملتون: الفلسفة وقضايا العصر – جـ١ – ترجمة أحمد حمدي محمود – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٩٠ – ص٢٠١.

حيث نجد أن بيتر سنجر الذي يعمل بتدريس الفلسفة في استراليا يتحدث عن العلاقة بين الجوع – الوفرة – الأخلاق.

([٨٩]) الألوسي، حسام محي الدين: التطور والنسبية في الأخلاق – دار الطليعة – ط١- بيروت - ١٩٨٩ – مصدر سابق - ص٣٤.
([٩٠]) ماركس، كارل: الأدب والفن والاشتراكية – مصدر سابق – ص٦٦.
([٩١]) بوتومو: الطبقات في المجتمع الحديث – ترجمة محمود الجوهري – دار الكتاب للتوزيع – ط٢ – القاهرة – ١٩٨٧ - ص٥٨.
([٩٢]) المصدر السابق: ص٣٧.
([٩٣]) الألوسي، حسام محي الدين: التطور والنسبية – مصدر سابق - ص١٧.
([٩٤]) أوسبورن، و: الماركسية والتحليل النفسي – ترجمة سعاد الشرقاوي – مراجعة مصطفى زيور – دار المعارف – ط٢ – القاهرة – د.ت – ص ص٨٩، ٩٠.
Carver, Terrell: Marx. Op. cit. p.p. 143: 145.
([95]) Stace, w.t: The philosophy of Hegel Asystematic Exposition – op. cit. p. 404.
([٩٦]) كامنكا، أوجين: الأسس الأخلاقية للماركسية – مصدر سابق – ص١٤.
(*)
([٩٧]) المصدر السابق: ص ص١٤-١٥.
وللتعرف على الفرق بين سؤال الأخلاق الماركسي وسؤال الأخلاق ومشكلتها بصفة عامة يمكن الرجوع إلى:
- Snore, Francis: The Nature of Moral Thinking – Routledge – First published – London – 1992.
- Ling Trevor: Karl Marx and religion in Europe and India – The Macmillan press – Ltd- First published – New york – Tokyo – 1980.

([98]) Somerville, John: The philosophy of Marxism An Exposition – op. cit. p. 162.
([99]) Ibid: p. 162-163.
([100]) Ibid: 163.
([١٠١]) كالفيز، جان ايف: كارل ماركس – مصدر سابق – ص٦٤.
([١٠٢])المصدر السابق – ص٦٥.
(*) سوف تكون لنا وقفة مع الأخلاق الماركسية وعلاقتها بالنفعية.
([103]) Somerville, John: The philosophy of Marxism An Exposition – op. cit. p.p. 23-171: 174.
([١٠٤]) ماركس، كارل: الأدب والفن والاشتراكية – مصدر سابق – ص١٢٧.
([١٠٥]) كامنكا، أوجين: الأسس الأخلاقية للماركسية – مصدر سابق – ص٥٩.
([١٠٦]) كالفيز، جان ايف – كارل ماركس – مصدر سابق – ص٦٩.
([١٠٧]) إبراهيم، زكريا: مشكلة الفلسفة – مكتبة مصر – القاهرة – د.ت – ص٣٣.
([١٠٨]) بسطاويسي، رمضان: جورج لوكاش ونقد الممارسة السياسية والاجتماعية – قضايا فكرية – القاهرة – نوفمبر – ١٩٩٠ – ص١٢٤.

(١٠٩) موروخ، ايريس: سارتر – المفكر العقلي الرومانسي – ترجمة شاكر النابلسي – دار الثقافة العربية للطباعة – القاهرة – د.ت – ص ص٨٣، ٨٤.
(١١٠) ألبير كامي: المتمرد – ترجمة عن الفرنسية عبدالمنعم الحفني – مطبعة الدار المصرية – القاهرة د.ت – ص٢٠٦.
(١١١) العالم، محمود أمين: جلاسنوست (مصارحة لا ينقصها الطابع الشخصي) – قضايا فكرية – الكتاب التاسع والعاشر – دار الثقافة الجديدة – القاهرة – نوفمبر – ١٩٩٠ – ص١٢.
(١١٢) كامنكا، أوجين: الأسس الأخلاقية للماركسية – مصدر سابق – ص٢٩.
(١١٣) روزنتال & يودين – الموسوعة الفلسفية – مصدر سابق – ص ص١٤، ١٥.
(١١٤) اشفيتسر، البرت: فلسفة الحضارة – مصدر سابق – ص٩٨.
(١١٥) المصدر السابق: ص٣٤٧.
(١١٦) بورتر، بيرتون: الحياة الكريمة – ترجمة أحمد حمدي محمود – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – 1993 – ص٩.
(١١٧) كامنكا، أوجين: الأسس الأخلاقية للماركسية – مصدر سابق – ص٤٤.
(١١٨) روزنتال & يودين: الموسوعة الفلسفية – مصدر سابق – ص٣٧١.
(١١٩) سارتر، جان بول: نظرية الانفعال – ترجمة هاشم الحسيني، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت – د.ت – ص ص١٠٣- ١٠٤.
(١٢٠) كامنكا، أوجين: الأسس الأخلاقية للماركسية – مصدر سابق – ص١٧.
(١٢١) روزنتال & يودين: الموسوعة الفلسفية – مصدر سابق – ص١٢.
وأيضًا:
- Pepper, Stephen: Ethics – Appleton, century – crofts, Inc. New york – 1990 – p.p. 199: 221.

(١٢٢) كالقيز، جان ايف: كارل ماركس – مصدر سابق – ص٦٤.
وأيضًا:
قفلجملي، حكمت: الجدل أو الديالكتيك ماديًا – مصدر سابق – ص ص٦، ٩.
(١٢٣) بوليتزيد، جورج: المبادئ الأساسية للفلسفة – دار الفنون والأبحاث العلمية – ط١ – القاهرة – ٢٠١٥ – مصدر سابق – ص١٠٣.
(١٢٤) سارتر، جان بول: المادية والثورة – مصدر سابق – ص٢٥.
(١٢٥) غوربون، ف.ف: في الثقافة – مصدر سابق ص٢١.
(١٢٦) جوركي – مكسيم: الأدب والحياة – ترجمة فؤاد دواره – مراجعة على الراعي – الدار المصرية للتأليف والترجمة – القاهرة ١٩٦٥ – ص١٧٩.
(*) لقد وضع شيلر نظريته في القيم المادية في مقابل قيم الأخلاق الصورية (كانط) وهو يرتب القيم إلى :
أ- قيمة الشعور الحسي أو السار ويقابلها الفنان.
ب- قيمة الشعور الحيوي، والنبيل ويقابلها الفنان.
جـ- قيمة الشعور العقلي، والجميل والصواب والمعرفة الخالصة بالحقيقة ويقابلها العبقري.
د- قيمة الحق المطلق أو المقدس ويقابلها القديس.

انظر:
مكاوي، عبدالغفار: لم الفلسفة – منشأة المعارف – الإسكندرية – ١٩٨١ – ص١٨٣.
(١٢٧) الألوسي، حسام الدين: التطور والنسبية في الأخلاق – مصدر سابق – ص٣٤.
(١٢٨) إبراهيم، زكريا: مشكلة الحياة – دار مصر للطباعة – د.ت – ص١٣.
(١٢٩) كامنكا، أوجين: الأسس الأخلاقية للماركسية – مصدر سابق – ص ص١٣٨، ١٧١.
وأيضًا:
Pepper, Stephen: Ethics. Op. cit. p.p. 138: 163.
(١٣٠) النساج، سيد حامد: حول الفكر الاشتراكي – مصدر سابق – ص ص١٩٦، ١٩٧.
(١٣١) عبدالمعطي، علي: تيارات فلسفية حديثة – دار المعرفة الجامعية – ط٢ – الإسكندرية – ١٩٩٦ – ص ص٤٤، ٤٥.
(١٣٢) يوسف، أبو سيف: حول الفلسفة الماركسية – مصدر سابق – ص ص٢٩: ٣١.
(١٣٣) إبراهيم، عبدالفتاح: الاجتماع والماركسية – مصدر سابق – ص ص١٨٨: ١٩٢.
(١٣٤) برتران، ميشال: وضعية الدين عند ماركس وانجلز – ترجمة صلاح كامل – دار الفارابي – ط١ – بيروت – ١٩٩٠ – ص٢٢.
وأيضًا:
- Wilelenbery, Frik. J: Avalue and virtuein goldless universe- Cambridge university – press – 2005 – p.p.1: 6.
- وفي هذا الكتاب يأتي عرض ثلاثة مواقف من الدين قبل ماركس.
- Moral Snare, Francis. The nature of Moral thinking – op. cit – p.p. 4-5.
(١٣٥) ياسين، بوعلي: الثالوث المحرم – دراسات في الدين والجنس والصراع الطبقي – دار الطليعة للطباعة والنشر – ط٣ – بيروت – ١٩٧٩ – ص١٥.
(136) Elster, John: Anintroduction to karl Marx. Op. cit. p.p. 180: 188.
(١٣٧) برتران، ميشال: وضعية الدين عند ماركس – مصدر سابق – ص١٦.
(138) Ling, Trevor: karl Marx and religion in Europe and India. The Macmillan press LTd –First published New york – Tokyo – 1980 – p.p. 3: 17 – 20: 31.
(١٣٩) ياسين، بوعلي: الثالوث المحرم – دراسات في الدين والجنس والصراع الطبقي – مصدر سابق – ص١١.
(١٤٠) بردبائف، نقولا: أصل الشيوعية الروسية - ترجمة فؤاد كامل – مراجعة راشد البراوي – الدار المصرية للتأليف والترجمة – القاهرة – د.ت – ص ص٧٣: ١٧٥.
(١٤١) فروم، إريك: مفهوم الإنسان عند ماركس – مصدرسابق – ص٢٠.
(١٤٢) المصدر السابق: ص١٨.
وأيضًا:
كالفيز، جان ايف: كارل ماركس – مصدر سابق – ص١٤٧.
(١٤٣) برتران، ميشال: وضعية الدين عند ماركس وانجلز – مصدر سابق – ص٣٨.

(١٤٤) المصدر السابق: نفس الصفحة.
(١٤٥) إبراهيم، عبدالفتاح: الاجتماع والماركسية – مصدر سابق – ص ص٢١٤، ٢١٥.
وأيضًا:
العوا، عادل: العمدة في فلسفة القيم – مصدر سابق – ص٦٣٧.
(١٤٦) برتران، ميشال: وضعية الدين عند ماركس وانجلز – مصدر سابق – ص٣٩.
ياسين، بوعلي: الثالثوم المحرم – دراسات في الدين والجنس والصراع الطبقي – مصدر سابق – ص ص١٧، ١٩: ٢٣.
(١٤٧) النساج، سيد حامد: حول الفكر الاشتراكي – مصدر سابق – ص١٧١.
(١٤٨) النوري، قيس: الاغتراب اصطلاحًا ومفهومًا وواقعًا – عالم الفكر – المجلد العاشر – العدد الأول – وزارة الكويت – الكويت – ١٩٧٩ – ص ص١٣: ١٧.
(١٤٩) رجب، محمود: الاغتراب – سيرة مصطلح – دار المعارف – ط٤ – القاهرة – ١٩٩٣ – ص ص٣١: ٤٠.
(*) الاغتراب نظرية توسع في شرحها ماركس في كتاباته الأولى وهي تحاول أن تصور وتفسر غربة البشر عن مجتمعهم بجانب محاولة تفسير طبيعة الغربة وآفاقها المحتملة ويعزو ماركس الاغتراب إلى ظاهرة تقسيم العمل في الرأسمالية انظر:
إدجار، أندرو & سيد جويد بيتر: موسوعة النظرية الثقافية والمفاهيم والمصطلحات الأساسية – مصدر سابق – ص٩٣.
(١٥٠) بدور، عبدالكريم: البطل والاغتراب في الفكر الإنساني – طرزان ومفهوم الاغتراب – مجلة البيان – العدد ٢٣٧ – رابطة الأدباء في الكويت – الكويت – ١٩٨٥ – ص٤٦.
(*)العزلة isolation هي الاستعمال الآخر لمصطلح الاغتراب، وهي أكثر ما يستعمل لوصف وتحليل دور المفكر أو المثقف الذي يغلب عليه الشعور بالتجرد Detachment وعدم الاندماج النفسي والفكري بالمقاييس الشعبية Folkloristic standars في المجتمع، ويرى بعض الباحثين في ذلك نوعًا من الانفصال عن المجتمع وثقافته والأشخاص الذين يحيون حياة عزلة واغتراب لا يعطون قيمة كبيرة لكثير من الأهداف والمفاهيم التي يثمنها أفراد المجتمع.
وقد استخدم الأستاذ مرتون Marton في كتابه النظريات الاجتماعية والبناء الاجتماعي مفهوم العزلة بصورة مترادفة لأوضاع ينعدم فيها التوافق Correspondence أو التطابق بين الأهداف والوسائل.
انظر:
النوري، قيس: الاغتراب – اصطلاحًا ومفهومًا وواقعًا – مصدر سابق – ص١٧.
(١٥١) رجب، محمود: الاغتراب – سيرة مصطلح – مصدر سابق- ص ص٩: ١٦.
(١٥٢) إبراهيم، عبدالفتاح: الاجتماع والماركسية – مصدر سابق – ص ص٢٢١، ٢٢٢.
(١٥٣) فروم، إريك: مفهوم الإنسان عند ماركس – مصدر سابق – ص٦٥.
(١٥٤) ماركس، كارل: الفن والأدب في الاشتراكية – مصدر سابق – ص٤٣.
(١٥٥) حماد، حسن: آفاق الأمل – مصدر سابق – ص١٠٠.
(١٥٦) رجب، محمود: الاغتراب – سيرة مصطلح – مصدر سابق – ص ص١٦، ١٧.

(١٥٧) النوري، قيس: الاغتراب – اصطلاحًا ومفهومًا وواقعًا – مصدر سابق – ص٢١.
(١٥٨) كامنكا، أوجين: الأسس الأخلاقية للماركسية – مصدر سابق – ص١٢٠.
(١٥٩) فروم، أريك: مفهوم الإنسان عند ماركس – مصدر سابق – ص٦٣.
(160) Elster, Jhon: An itntroduction to karl marx – op. cit. p.p. 43-44.

وأيضًا:
كامنكا، أوجين: الأسس الأخلاقية للماركسية – مصدر سابق – ص ص١٩٤: ٢٠١.
(١٦١) جارودي، روجيه: واقعية بلا ضفاف – ترجمته حليم طوسون – دار الكتاب العربي للطباعة والنشر – القاهرة – ١٩٦٨ – ص١١١.
(١٦٢) رجب، محمود: الاغتراب – سيرة مصطلح – مصدر سابق – ص١٦٣.
(١٦٣) فروم، اريك: مفهوم الإنسان عند ماركس – مصدر سابق – ص٧١.
(١٦٤) المصدر السابق: ص٩.
(١٦٥) فروم، إريك: فن الحب – ترجمة مجاهد عبدالمنعم مجاهد – دار العودة – ط٢ – بيروت – ١٩٨١ – ص٧٨.
(١٦٦) بلانت، سادي: راية التمرد - ترجمة أحمد حسان – المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة – ١٩٩٩ – ص٧.
(١٦٧) إبراهيم، عبدالفتاح: الاجتماع والماركسية – مصدر سابق – ص ص٢٢٣: ٢٢٥.
وأيضًا:
Northrop: the meating of East and west – op. cit. p.p. 232: 233.
(١٦٨) فروم، أريك: مفهوم الإنسان عند ماركس – مصدر سابق – ص ص٦٦: ٦٨.
(١٦٩) فتحي، إبراهيم: الماركسية وأزمة المنهج – مصدر سابق – ص٢٠.
(170) Elster, Jhon: An introduction to karl Marx – op. cit. p.p. 41-42.
(١٧١) هيكل، مصطفى: خلاصة رأس المال لكارل ماركس – مصدر سابق – ص ص٤٢: ٤٨.
وأيضًا:
طاطاو، الشريف: نقد سلطة رأس المال (روجيه جارودي نموذجًا) – مصدر سابق – ص ص٢٩٤: ٢٩٦.
(١٧٢) زكريا، فؤاد: هربرت ماركيوز – دار الفكر المعاصر للنشر والتوزيع – القاهرة – ١٩٨٧ – ص٥٨.
وأيضًا:
ياسين، بوعلي: الثالوث المحرم – دراسات في الدين والجنس والصراع الطبقي – مصدر سابق – ص ص٢٧: ٣٤.
ويناقش فيه دور الجنس في الصراع الطبقي وعلاقته بالاغتراب.
(173) Rogar: Marxism – 1844 – 1990 Origins, betrayal, rebirth – op. cit. p.p. 26: 36.

(١٧٤) العالم، محمود أمين: جلاسنوست (مصارحة لا ينقصها الطابع الشخصي) – مصدر سابق – ص٥.
(١٧٥) مغيث، أنور: المناخ الثقافي لنشأة الماركسية – قضايا فكرية – الكتاب التاسع والعاشر – دار الثقافة الجديدة – القاهرة – ١٩٩٠ – ص٣٩.
(١٧٦) فروم، أريك: مفهوم الإنسان عند ماركس – مصدر سابق – ص٥٠.
(١٧٧) المصدر السابق: ص٦٣.
(١٧٨) المصدر السابق: ص٧٣.
(١٧٩) عامر، محمد: قضايا في الفلسفة الماركسية – دار الثقافة للطباعة والنشر – القاهرة – ١٩٧٨ – ص ص٣٠: ٣٢.
(١٨٠) ستالين: المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية – مصدر سابق – ص ص٣٨، ٣٩.
(١٨١) لينين: إلى الفلاحين الفقراء – دار التقدم – موسكو – د.ت – ص ص٨٣: ٩١.
(١٨٢) عامر، محمد: قضايا في الفلسفة الماركسية – مصدر سابق – ص٣٧.
(١٨٣) لينين: إلى الفلاحين الفقراء – مصدر سابق – ص٤٩.
(١٨٤) النساج، سيد حامد: حول الفكر الاشتراكي – مصدر سابق – ص ص١٨٤، ١٨٥.
(١٨٥) ماركس: العمل المأجور والرأسمال – دار التقدم – موسكو – د.ت – ص ص١٦: ١٨.
(١٨٦) ستينا نوفا: كارل ماركس – سيرة حياة – مصدر سابق – ص٤٠١.
(١٨٧) لينين: إلى الفلاحين الفقراء – مصدر سابق ص ص٩١، ٩٤.
وأيضًا:
ستينانوفا: كارل ماركس – سيرة حياة – مصدر سابق – ص ص٤٦: ٤٩، ١٢٩.
(١) بدء النضال من أجل تأسيس الحزب البروليتاري.
(٢) الصحيفة الرينانية الجديدة – نضال التحرر الوطني في هنغاريا وإيطاليا.
(١٨٨) الشريف، جلال فاروق: الاشتراكية والبلا النامية – مجلة المعرفة – العدد ٢٠٣ – وزارة الثقافة والإرشاد القومي – سوريا – ١٩٧٩ – ص ص١٢: ١٤.
(١٨٩) المصدر السابق: نفس الصفحات.
وأيضًا:
فتحي، إبراهيم: الماركسية وأزمة المنهج – مصدر سابق – ص٤٢.
(١٩٠) لينين، فلاديمير: مصادر الماركسية الثلاثة – مصدر سابق – ص١٣٢.
(١٩١) عبدالمعطي، علي: الفكر السياسي الغربي – مصدر سابق – ص ص٤٢٠.
(١٩٢) مرعي، فؤاد (ترجمة): أسس علم الجمال الماركسي اللينيني – جماعة من الأساتذة السوفيت – دار الفارابي – بيروت – ١٩٧٨ – ص٢٤١.
(١٩٣) بوليتزر، جورج: أصول الفلسفة الماركسية – ترجمة شعبان بركات – منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت – د.ت – ص ص١٣١، ١٣٢.
(١٩٤) لينين: في الثقافة والثورة – دار التقدم – موسكو – ١٩٦٨ – ص ص١٣، ١٤، ١٣٢.
(١٩٥) النويهي، محمد: نحو ثورة في الفكر الديني – دار الآداب – ط١ – بيروت – ١٩٨٣ – ص ص٦٦، ٦٧.

([١٩٦]) الألوسي، حسام الدين: التطور والنسبية في الأخلاق – مصدر سابق – ص٤٩.
([١٩٧]) هنت، كاريو: الشيوعية نظريًا وعمليًا – مصدر سابق – ص٨٢.
([١٩٨]) زكريا، فؤاد: آفاق الفلسفة – مصدر سابق – ص ص٥٦: ٥٩.
([١٩٩]) طاطاو، الشريف: نقد سلطة رأس المال (روجيه غارودي نموزجًا) – مصدر سابق – ص٣٠٠.
وأيضًا:
Marris, pan: Realism – op. cit. p. 163.
([٢٠٠]) كالفيز، جان ايف: كارل ماركس – مصدر سابق – ص٤٥.
([201]) Elgar, Edward: Marx and Non – Equilibrium Economics. Op. cit. p. viii-ix.
([٢٠٢]) خان، وحيد حامد: سقوط الماركسية – ترجمة ظفر الإسلام خان – رابطة الجامعات الإسلامية – ط١ – ١٩٨٧ - ص٣٧.
([203]) Elgar, Edward: Marx and Non- Equilibrium Economics – op. cit. p.p. 1: 3.
([204]) Marx, karl, Engles: Selected correspondence, progress. Publishers, Moscow – 1985. p.62.
([٢٠٥]) فتحي، إبراهيم: الماركسية وأزمة المنهج – مصدر سابق – ص١٠.
([206]) Rogar: Marxism – 1844- 1990 – origins, betroyal, rebirth. Op. cit. p. 151.
وأيضًا:
بوليتزر، جورج: أصول الفلسفة الماركسية – مصدر سابق – ص ص٦٨، ٦٩.
([207]) Guest, David: lectures on Marxist philosophy – op. cit. p.p. 74-75.
([٢٠٨]) بوليتزيد، جورج، وآخرون: المبادئ الأساسية للفلسفة – مصدر سابق – ص٧٨.
([٢٠٩]) كالفيز، جان ايف: كارل ماركس – مصدر سابق – ص٦٨.
([٢١٠]) المصدر السابق: ص٦٢.
([٢١١]) المصدر السابق: ص٦١.
([٢١٢]) زكريا، فؤاد: آفاق الفلسفة – مصدر سابق – ص٦٧.
([٢١٣]) الألوسي، حسام الدين: التطور والنسبية في الأخلاق – مصدر سابق – ص١٥٣.
([214]) Rogar: Marxism- 1844 – 1990 – origins, betroyal – rebirth – op.cit. p. 130.
([٢١٥]) حنا، جورج: ضجة في صف الفلسفة – مصدر سابق – ص٤١.

والاشتراكية الأخلاقية ethical socialism تفسير كانطي جديد للاشتراكية على أساس نظرية الأخلاق عند كانط. وقد نفى منظرو الاشتراكية الأخلاقية (كوهن – ناتورب) الفلسفة الماركسية أي المادية الجدلية، وحاولوا أن يربطوا الاشتراكية العلمية بالفلسفة الأخلاقية الكانطية، واعتبروا الأخلاق علمًا موضوعه إزالة التناقضات في العلاقات الاجتماعية وكانط أول من صاغ الفكرة الأساسية للاشتراكية، وهي فكرة التضامن (أعمل دائمًا بحيث تعبر الإنسانية في شخصك أو في أشخاص الآخرين كغاية لا كمجرد واسطة).

انظر:

- روزنتال & يودين: الموسوعة الفلسفية – مصدر سابق – ص٣١.
- خضر، سناء: إشكالية الضمير وعلاقتها بالواجب عند كانط – دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – ط١ – ٢٠٠٩ – ص ص١٧٦: ١٨٢.

([٢١٦]) الألوسي، حسام الدين: التطور والنسبية في الأخلاق – مصدر سابق – ص١٥٣.

([٢١٧]) بوليتزر، جورج: أصول الفلسفة الماركسية – مصدر سابق – ص١٢٩.

([٢١٨]) العالم، محمود أمين: جلاسنوست (مصارحة لا ينقصها الطابع الشخصي) – مصدر سابق – ص١٢.

([٢١٩]) النجار، حسين فوزي: الفكر السياسي الحديث – دار الكتاب العربي للطباعة والنشر – القاهرة – ١٩٩٦ – ص٧٨.

([٢٢٠]) المصدر السابق: ص ص٧٥: ٧٨.

([٢٢١]) النويهي، محمد: نحو ثورة في الفكر الديني – مصدر سابق – ص٦٧.

([٢٢٢]) جوركي، مكسيم: الأدب والحياة – مصدر سابق – ص٣٥.

([٢٢٣]) روزنتال & يودين: الموسوعة الفلسفية – مصدر سابق – ص٣١.

([٢٢٤]) كامنكا، أوجين: الأسس الأخلاقية للماركسية – مصدر سابق – ص ص١٦٧: ١٧١.

([٢٢٥]) روزنتال & يودين: الموسوعة الفلسفية – مصدر سابق – ص١٨٦.

([٢٢٦]) المصدر السابق: ص٢٩٣.

([٢٢٧]) خان، وحيد الدين: سقوط الماركسية – مصدر سابق – ص ص٣٨، ٣٩.

([٢٢٨]) عبدالمعطي، علي: الفكر السياسي الغربي – مصدر سابق – ص٤٢١.

([٢٢٩]) كالفيز، جان إيف: كارل ماركس – مصدر سابق – ص ص٦٧، ٦٨.

([٢٣٠]) حنا، جورج: ضجه في صف الفلسفة – مصدر سابق – ص ص٥٧: ٦٣.

وأيضًا:

- Pepper, Stephen: Ethics. – op. cit. p.p. 36: 51.

([٢٣١]) إبراهيم، عبدالفتاح: الاجتماع والماركسية –مصدر سابق – ص٢٠٣.

([٢٣٢]) العروي، عبدالله: مفهوم الحرية – دار التنوير للطباعة والنشر – ط٢ – بيروت – ١٩٨٣ – ص٦١.

([٢٣٣]) كامنكا، أوجين: الأسس الأخلاقية للماركسية – مصدر سابق – ص٤٧.

(٢٣٤) المصدر السابق: نفس الصفحة.
(٢٣٥) فروم، إريك: مفهوم الإنسان عند ماركس – مصدر سابق – ص ص١٨، ١٩.
(٢٣٦) لوفيفر، هنري: أزمة الماركسية الراهنة – مصدر سابق – ص ص٩: ١٢.
(٢٣٧) المصدر السابق: نفس الصفحات.
انظر أيضًا:
- Carven, Terrell: Marx – op. cit. p.p. 246 – 247.
وفيه سنجد نظرة ماركس للعلاقة بين الجمال والحرية أيضًا.
(238) Elster, Jhon: An Antroduction to karl Marx – op. cit. p.p. 81:83.
(٢٣٩) بوليتزر، جورج: أصول الفلسفة الماركسية – مصدر سابق – ص ص٣٨: ٤٠.
(240) Makdisi, Saree (Edited by) Marxism beyond Marxism – op. cit. p.2.
(241) Somerville, John: The philosophy of Marxism – op. cit. p. 184.
(٢٤٢) فوربونون، ف.ف.: في الثقافة – مصدر سابق – ص١٥٦.
(*) وهنا يجب التفرقة بعمق بين الليبرالية الواقعية والليبرالية الأيديولوجية وهو ما قدمه القديس ماكس وأسلافه.
انظر:
فادية، ميشيل: الايديولوجية – وثائق من الأصول الفلسفية – ترجمة أمينة رشيد – دار التنوير للطباعة والنشر – ط١ – القاهرة – ١٩٨٢ – ص٤٣.
(٢٤٣) يوسف، ابوسيف: حول الفلسفة الماركسية- مصدر سابق – ص ص٣٢: ٤١.
(٢٤٤) المصدر السابق: نفس الصفحات.
(٢٤٥) كامنكا، أوجين: الأسس الأخلاقية للماركسية – مصدر سابق – ص ص١٤٠: ١٤٣.
(٢٤٦) المصدر السابق: نفس الصفحات.
(٢٤٧) إبراهيم، زكريا: دراسات في الفلسفة المعاصرة – دار مصر للطباعة – ط١ – القاهرة – د.ت – ص٥٢٥.
(٢٤٨) الألوسي، حسام الدين: التطور والنسبية في الأخلاق – مصدر سابق – ص ص١٥٣، ١٥٤.
(٢٤٩) سارتر، جان بول: المادية والثورة – مصدر سابق- ص٣٠.
(٢٥٠) فروم، إريك: مفهوم الإنسان عند ماركس – مصدر سابق – ص ص٥٤: ٥٦.
(٢٥١) بوليتزر، جورج: أصول الفلسفة الماركسية – مصدر سابق – ص ص٢١٠: ٢٢٣.
(252) Rogar: Marxism – 1844 – 1990 – origins, betrayal, rebirth – op. cit p.p. 39-40.
(253) Ibid: p. 198: 207.
(٢٥٤) بوليتزر، جورج: أصول الفلسفة الماركسية – مصدر سابق – ص ص٧١: ٧٤.
(٢٥٥) كالفيز، جان ايف: كارل ماركس – مصدر سابق – ص ص٤٥، ٤٦.
(256) carver, Terrell: Marx op. cit. pp. 168-169.

(٢٥٧) خرطبيل، سامي: الوجود والقيمة – مصدر سابق – ص١٢٢.
(٢٥٨) موران، إدجار: نهاية الأمل وصدمة المستقبل – مجلة القاهرة – العدد ١٣٢ – القاهرة ١٩٩٣ – ص٣٠.
(٢٥٩) الألوسي، حسام محي الدين: التطور والنسبية في الأخلاق – مصدر سابق – ص١٧.
(٢٦٠) كامنكا، أوجين: الأسس الأخلاقية للماركسية – مصدر سابق – ص٦.
(٢٦١) المصدر السابق: ص ص١٥: ١٧.
(٢٦٢) أسبورن، و: الماركسية والتحليل النفسي – مصدر سابق – ص ص٨٩، ٩٠.
(263) Somerville., John: The philosophy of Marxism – op. cit. p.184.
(٢٦٤) الألوسي، حسام محي الدين: التطور والنسبية في الأخلاق – مصدر سابق – ص٨٢.
(٢٦٥) توفي، ر. هـ: المجتمع المستغل – مصدر سابق – ص٢٥٥.
وأيضًا:
-Hawkas, David: Ideology- op. cit. p. 58.
(٢٦٦) موردسير، إدوار: الفكر الفرنسي المعاصر – ترجمة عادل العوا – منشورات عويدات – ط١ باريس – ١٩٧٨- ص١١٤.
(٢٦٧) هنت، كاريو: الشيوعية نظريًا وعمليًا – مصدر سابق – ص٩٢.
(٢٦٨) ماركس، كارل: بؤس الفلسفة – مصدر سابق – ص ص١٢: ١٥.
(٢٦٩) حماد، حسن: آفاق الأمل – مصدر سابق – ص٧٩.
(٢٧٠) أوسبورن، و : الماركسية والتحليل النفسي – مصدر سابق – ص٨٧.
(271) Manuel, Frank. E.: Arequiem For karl Mark – op. cit. p.p. 122-123.
(٢٧٢) كالفيز، جان ايف: كارل ماركس – مصدر سابق – ص ص٦٢، ٦٣.
(٢٧٣) بوليتزيد، جورج: أصول الفلسفة الماركسية – مصدر سابق – ص١٣٩.
وأيضًا:
- Guest, David: lectures on Marxist philosophy – op. cit. p.p. 30-31.
(274) Manuel, Frank. E.: Arequiem for Karl Mark – op. cit. p. 181.
(٢٧٥) أبو غالي، مختار علي: مدينة المستقبل (يوتوبيا) مجلة البيان – العدد ٢٨١ – رابطة الأدباء – الكويت ١٩٨٩- ص١٥.
(276) Makdisi, Saree (Edited by) – Markxism beyond Markxism – op. cit. p. p. 2-3.
(٢٧٧) كالفيزا، جان ايف: كارل ماركس – مصدر سابق ص ص٦٨، ٦٩.
(٢٧٨) فتحي، إبراهيم: الماركسية وأزمة المنهج – مصدر سابق – ص٣٦.
وأيضًا:
بوليتزن، جورج، وآخرون: المبادئ الأساسية للفلسفة – مصدر سابق – ص٢٧.
(٢٧٩) الألوسي، حسام الدين: التطور والنسبية في الأخلاق – مصدر سابق – ص١٦.
(٢٨٠) موروسير، ادوار: الفكر الفرنسي المعاصر – مصدر سابق – ص١٢٠.

(٢٨١) لينين: فتنة البرجوازية الصغيرة – مصدر سابق – ص ص ٣٣، ٣٤.
(٢٨٢) النساج، سيد حامد: حول الفكر الماركسي – مصدر سابق – ص ص ١٧٣، ١٧٤.
(283) Northrop: The meeting of East and west – op. cit. p. 245.
(٢٨٤) أبو ناصر، موريس: أفكار جديدة لعالم جديد (فصولفي سلطة المعرفة) – المركز الثقافي العربي – ط١ – القاهرة – ١٩٩٥ – ص ص ١٦، ١٧.
(٢٨٥) عامر، محمد: قضايا في الفلسفة الماركسية – مصدر سابق – ص٣٧.
(٢٨٦) طرابيشي، جورج: سارتر والماركسية – مصدر سابق – ص٦٧.
(٢٨٧) هنت، كاريو: الشيوعية نظريًا وعمليًا – مصدر سابق – ص ص٢١٩: ٢٢٢.
وأيضًا:
فتحي، إبراهيم: الماركسية وأزمة المنهج – مصدر سابق – ص ص١٠: ١٢.
(٢٨٨) النشار، مصطفى: فلاسفة أيقظوا العالم – مصدر سابق – ص٣٥٢.
(٢٨٩) النساج، سيد حامد: حول الفكر الاشتراكي – مصدر سابق – ص١٧٦.
(290) Rogar: Marxism. 1844- 1990 – origins, betrayal, rebirth – op. cit. p. p. 170 – 171.
(٢٩١) الحريري، علي عبدالمجيد: فلسفة الفوضوية – مصدر سابق – ص ص١٣: ٦، ٢٦: ٢٨.
(٢٩٢) فتحي، إبراهيم: الماركسية وأزمة المنهج – مصدر سابق – ص٦.
(٢٩٣) لينين: فتنة البرجوازية الصغيرة – مصدر سابق – ص٦.
(٢٩٤) فروم، أربك: مفهوم الإنسان عند ماركس – مصدر سابق – ص١٨.
(٢٩٥) ماركوز، هربرت: البعد الجمالي – نحو نقد النظرية الجمالية الماركسية – ترجمة جورج طرابيشي – دار الطليعة للطباعة والنشر – ط١ – بيروت – ١٩٧٩ – ص١٥.
(٢٩٦) البهي، محمد: تهافت الفكر المادي التاريخي – مكتبة وهبة – القاهرة – ١٩٧٥ - ص٦٥.
(٢٩٧) كامنكا، أوجين: الأسس الأخلاقية الماركسية – مصدر سابق – ص ص١٧٥، ١٧٦.
(٢٩٨) البهي، محمد: تهافت الفكر المادي التاريخي – مصدر سابق – ص٣٧.
(٢٩٩) كامنكا، أوجين: الأسس الأخلاقية للماركسية – مصدر سابق – ص٩.
(٣٠٠) فوكوياما، فرانسيس: نهاية التاريخ والإنسان الأخير – ترجمة فؤاد شاهين – مركز الإنماء القومي – لبنان – ١٩٩٤.
(٣٠١) كامنكا، أوجين: الأسس الأخلاقية للماركسية – مصدر سابق – ص٢١٩.
(٣٠٢) ألبير كامي: المتمرد – مصدر سابق – ص٢٢٥.
(٣٠٣) هنت، كاريو: الشيوعية نظريًا وعمليًا – مصدر سابق – ص ص١٠٤، ١٠٥.
(٣٠٤) خان، وحيد الدين – سقوط الماركسية – مصدر سابق – ص ص٣٦، ٣٧.
(٣٠٥) ماركس، كارل: بؤس الفلسفة – مصدر سابق – ص١٢.
(٣٠٦) بوليتزر، جورج: أصول الفلسفة الماركسية – مصدر سابق – ص ص١٣٩، ٤٠، ٤١.
(٣٠٧) حنا، جورج: ضجة في صف الفلسفة – مصدر سابق – ص ص٣٢: ٣٥.

([٣٠٨]) كامنكا، جورج: الأسس الأخلاقية الماركسية – مصدر سابق - ص١٠.
([٣٠٩]) البهي، محمد: تهافت الفكر المادي التاريخي – مصدر سابق – ص٣٥.
([٣١٠]) الجزيري، مجدي: العنف والتاريخ – دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية – ٢٠٠٢ - ص٥٣.
([٣١١]) بورتر، بيرتون: الحياة الكريمة – مصدر سابق – ص١٣٤.
([٣١٢]) زتيلي، خديجة: بندتو كروتشه والنزعة التاريخية المطلقة – المركز العربي الإسلامي للدراسات الغربية – ٢٠٠٧ – ص٤٨.
([٣١٣]) فتحي، إبراهيم: الماركسية وأزمة المنهج – مصدر سابق – ص١٣.
([٣١٤]) غارودي، روجيه: فكر هيجل – ترجمة إلياس مرقص - دار الحقيقة للطباعة والنشر – ط١ ـــ بيروت – ١٩٨٣ - ص٢٩.
([٣١٥]) أبو زيد، أحمد (مراجعة وتقديم): التحليل الثقافي - مجموعة من المؤلفين – المركز القومي للترجمة – ط١ – القاهرة – ٢٠٠٨- ص ص٣٤: ٤١.
([٣١٦]) لوفيفر، هنري: أزمة الماركسية الراهنة – مصدر سابق – ص٩.
([٣١٧]) عبدالمعطي، علي: الفكر السياسي الغربي – مصدر سابق – ص٤٢٢.
([318]) Makdisis: Saree (Edited by) – Marxism beyond Marxism – op. cit. p. 55.
([٣١٩]) هنت، كاريو: الشيوعية نظريًا وعمليًا – مصدر سابق – ص٤.
([٣٢٠]) فروم، أريك: مفهوم الإنسان عند ماركس – مصدر سابق – ص ص٢١، ٢٢.
([321]) Markdisi, Saree (Edited by) – Marxism beyond Marxism 0- op. cit. pp 14-15.
([٣٢٢]) فروم، إريك: مفهوم الإنسان عند ماركس – مصدر سابق – ص٢٢.
([٣٢٣]) خان، وحيد الدين: سقوط الماركسية – مصدر سابق – ص٣٥.
([٣٢٤]) فروم، إريك: مفهوم الإنسان عند ماركس – مصدر سابق – ص١٩.
([٣٢٥]) عامر، محمد: قضايا في الفلسفة الماركسية – مصدر سابق – ص٢٠.
([٣٢٦]) لينين: فتنة البرجوازية الصغيرة – مصدر سابق ص٩.
وأيضًا:
هابرماس: يورغن: بعد ماركس – ترجمة محمد ميلاد – دار الحوار للنشر والتوزيع – ط١ – سوريا – ٢٠٠٢ – ص٥٣: ٥٩.
([327]) Elster, Jhon: An introduction to Karl Marx op. cit. p.p. 109-110.
([٣٢٨]) ليمكي، توماس: ماركس بدون مزوجين: فوكو، الحاكمية ونقد الليبرالية الجديدة – ترجمة حسن الحاج – المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع – ط١ – بيروت: ٢٠١١ – ص ص٩: ٢١.